محمد حامد

أرواح عارية



محمد حامد

أرواح عارية

Book: Arwah Aryah
الكتاب: أرواح عارية
Author: Mohammed Hamed
المؤلف: محمد حامد
Cover plate: Ali Rashid
لوحة الغلاف: علي رشيد
First Edition: 2010
الطبعة الأولى ٢٠١٠



طوى للثقافة والنشر والإعلام ـ لندن
TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED
19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM
Email: tuwa@london.com
Tel : 00966505481425 - 009662108111
التوزيع : منشورات الجمل
تلفون وفاكس: ٦٦٨١١٨ ١ ٠٠٩٦١،
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان
E-Mail: KAlmaaly@aol.com

- العنوان: أرواحٌ عاريّة!
- التصنيف: شوية فضايح!
- تصنيف «ثاني» بالغ التهذيب: ثقوب تلصُّص.
- عن الكاتب: سمعت إنه «محمد حامد» ولا تأخذوا بكلامي..

- قناعٌ منمق يليق بروحي!
- كذبة ثانية: تدخل الآن إلى عالمي بإذن مسبق مني، توغل بهدوء كرصاصة رحمة.
- ملامح وجهي مقتبسة من نقطتين متعامدتين، وقوس مفتوح للداخل.

:(

طيف قزح

نيفه: لن تصل إليك حروفي هذه اللحظة فأنت تنامين بسكينة في أحضان رجل لا يشبهني كثيرا! أنا تغيرت عني منذ أخر غياب، لا أعلم تماما كيف هو طيفي النائم بجوارك؟ كل ما أدركه في هذه المعمعة أنني ملاذ بارد جدا.

قبل يومين وردني اتصال من DHL أن شيء يخصني لديهم، سرت قشعريرة في رماد صدري، وجزمت أن العنوان خاطئ لا محالة! هو -ساعي البريد - أصر على أنني الرجل الصحيح، هو يفعل هذا الأمر مع الجميع كما يملي عليه عمله، الأهم أنني تجاهلت الاتصال وتأخرت في استلام البريد، الذي أعيه جيدا هو إحساس ينتاب قلبي أن العنوان خاطئ!

اليوم كانت تمطر بالمناسبة-لعلك تتذكرين لحظة وصفت نفسي بالرجل الذي يخيط الغيمات-لا ينتابني ذرة شك في أن ذاكرتك جيدة بالنسبة لتفاصيلي على أقل تقدير، تحذير يأتي كتبرير صغير.. أنا مؤخرا أتشعب كثيرا - يوم كان النبض مركز كانت الصلوات خاشعة، ولكن الآن فقد حبي بوصلته، وخفت نور كان يلف هالتي كسور من يقين، هوت حصوني وانكشف جرحي لسهام شفقتهم - ملعون هذا الوجع كما تعلمين!

اليوم كانت تمطر برتابة وكأن الغيم يمارس واجبه ويتخلى عن

هوسه بعناق الأرض-أتشعرين أن كل الأشياء تغرق في الملل حين تتأخر عن موعدها، أنا أشعر-توقف المطر. . وأصبعي زجاج سيارتي تواصل طرد بقايا البلل دون توقف، تستفزني لتخبرني أن كل شيء حولي يعاني من البلادة، وكأن منظومة الحياة الراقصة على أغنية حضورك فيما سبق، رحيلك الذي كان فيما بعد سلب الكلمات صوتها فامتهنت الصمت!

تكرهين الصمت وتمارسين رياضة التأمل كل حين-أعدك أن أتعلم اليوغا والطب البديل والاسترخاء وارفع معدل الذكاء الجسدي-ولكن امنحي اللحظات ميلاد أخر، أتفعلين؟

لم يكن مبنى الـ DHL بعيدا بحجم هذه الثرثرة، إنما الوقت بطيء جدا كشاحنة قديمة. . تجاوزت البوابة وصافحت الرجل مطموس التعابير وكأنه دمية، أخبرته عن الاتصال الخاطئ وطلبت حاجتي-أنت ترفضين أن أستحضر أمنياتي في غير محراب صلاتي، حتى أنا ارفض ولكن أفعلها دون وعي-الرجل الدمية يتحرك الآن، يقترب مني ويحمل بين يديه مُغلف يشبه رسائلك، أعترف أن ابتسامة بغيضة بدت في الموقف، وتذكرت السن توب وأنت ترتشفين منه بعد كل قصيدة تتلوها شفتاك على قلبي، وتكررين: حروفك تعلمني الاهتمام بأشياء عادية. . تغدو فيما بعد بذاكرة خاصة باسمك. السن توب الحاضر في أول قصة كتبتها، القصة ذاتها تحتفظين بالنسخة الأصلية لممد أمد بخط يدي، واحتفظ بأول قصيدة لك. . ولكن يجب عليك أن تعلمي أن الرجل الدمية تضايق من شرودي بالضبط كانزعاجك من تشعبي الآن! دعيني أقول أن الملصقات التي تعود لعصير السن توب الموزعة على المٌغلف وكأنها طوابع بريد لم تفضحك! حتى اللحظة لم يخطر ببالي أنك المرسلة، فقط ابتسمت وظننت أن بداخل البريد مجلة أطفال وعلبة حلوى وكراسة تلوين تخص طفل بالتأكيد لست هو - الحياة ليست دقيقة تماما في إيصال الأقدار، وأحيانا تحدث فوضى - هكذا أثرثر

لنفسي الآن، وقعت على استلام بريد نيابة عن الرجل الصحيح، الآن أنا متأكد أن هذا الهاجس الذي رافقني وأصفه لك يجعلني متهم أمامك بالمتشائم.

أرجوك لا تبعثي أخر إصدارات توني بوزان وستيفين كفي ونجيب الرفاعي فبكل بساطة أرفض التعاطي مع علوم تطوير الذات وإخضاع روح تموت لعملية إنعاش لن تنجح!

[يا قو صبرك على عقلك]، هذه الجملة تصدر منك الآن، أسمعها، وربما أتوهم أنني سمعتها في هذيان سابق.

حملت البريد وتخبطت في الوحل، الماء الطاهر حديث العهد بربي أصابته نجاسة خطوات ملوثة بالضياع، خطواتي زادت الوحل عتمة فثار غضبا وترك بقعا صغيرة مبعثرة أسفل ثوبي، كدت أن أترك الثوب للوحل وأمضي-تعلمين أنني أفعلها ببساطة وأحترم جنوني، هو على ما يبدو الشيء الوحيد الذي استطيع الجزم بأنه يزداد فيني-أما زال يطربك جنوني كما كان في الماضي؟

لا يهم ما يكون الرد لأن الأشياء لا تعود إلى هيئتها بعد أن تتغير مهما حاولنا!

أشياء أشياء كلماتي بالية ومكررة.. أفهم ذلك وأرجو أن تتفهميه.

وصلت إلى المقهى الممتلئ برائحة دخاني منذ البارحة، وبحثت عن الطاولة الحزينة المنفية في الزاوية القصية وجلست وحدي-طالما كنت وحدي منذ غيابك-العاشرة الآن صباحا، تذكري توم وجيري الآن كما كنا ننتظرها معا، واطردي هذه الأفكار من عقلي بذكاء اعلمه عنك، وضعي على جبيني END بحجم الانتهاء!

لم تفعلي.. قربت المغلف وجعلته تحت نظري وبين ذراعي، تخيلت أنني الرجل الهندي وتأهبت لأيقاظ الكوبرا، المقهى تحول إلى سيرك وسمعت ضجيجا، سمعت صوتا أقوى بداخلي يقول: أكنت سيئا

حتى تخبئين لي الرعب في هدية.. أتوقع ذلك! أتوقعه بشدة حين فضحت ستر الهدية لتصعقني صفحة بيضاء كأنها غلاف-هي غلاف بالتأكيد-لعنوان هو: كيف تلتهم الفطر؟

في السطر الثاني يوميات بطلي Super Mario

اللعنة! أمامي كتاب هو يتحدث عني بالتأكيد من بعثه إلي!؟

وضعته جانبا، كان بخيلا في ملامحه هذا الغلاف كالرجل الدمية ومفاجأة أيضا، وبه إشارة تخصني، قلبت المغلف رأسا على وجع، لم يسقط إلا الغموض! أخبرتك دوما ما شعرت بالفرح من كل الأشياء الفارغة، هي لا تحمل معها أية صوت، ولا تثير هدوئي!

يثير هدوئي الآن صوت من بعيد، إنه جوالي المزعج، ياه إنه رقمك أنت.. أوه اغفري تقصيري فأنا منذ أن ألتقيتك لم أستطع أن اختار اسم يشبهك، وتركتك كبيرة بلا هوية!

- يا صباحك

يا غيابك

- وينك؟

في المقهى.

- الطاولة الحزينة المنفية في الزاوية القصية وأجلس وحدي، كملت نيابة عنك، ما تغيرت؟

عَجزّت، وتعلمت أكرهك.

- هـه، رح مكة وصل ركعتين في الحرم، واحلف وأنت ماسك ستار الكعبة انك تكرهني، بكون جنبك وقتها أحلف باللّه انك ما تدري، وأقول يا رب أنا أعرفه أكثر من نفسه.

ما تغيرتي، باقي أنتي المراهقة اللي تدرس ثاني ثانوي مشرفة: وتكتب خواطر وقصايد مكسرة واسمها المستعار: آهات.

- يا قديم، خلصت الجامعة أدب انجليزي وأخذت الماستر وقربت أصير دكتورة.

أعرف، يا حظك!

- تعرف، الفرق بيني وبينك! أني إذا فقدتك جيت يمك وأنت إذا فقدتني رحت تكتب وتتخدر.

أقول أنتي في أي ولاية؟

- ليه بتجي؟

لا، بس عشان اعرف أنتي مع الديمقراطيين ولا الجمهوريين؟

- أنا صوتي لك بس.

ارحميني.. ما أقدر أتحمل أخاف يصير لي شي!

- الجد بروح أواسي بوش عشان أخر يوم في البيت الأبيض، وأحضنه عشان يرتاح.

ملعونة!

- ياهوه خلاص بطلوها الغيرة، المهم كم مرة قريت الكتاب؟

ولا مرة.

- ثقيل يا باشا

البعد علمنا ما ننتظر الغائبين!

- لا تضيق خلقي الحين عندي مناقشة وحبيت اسمع صوتك عشان أقدم شيء مميز، والكتاب عندك وترى - واللّه - نسختين بس، وحده عندك والثانية عندي، ما يعني لي أحد في الكون يرتوي من ماي قلبي غيرك يا قلبي.

أها، أحاول أشوفه.

- ...

عربي يا دكتورة؟

- كن بخير من أجلي، أنا أكون بخير من أجلك.

قبل تروحي، مين أخر واحد تكلم المرة الماضية قبل نقفل، أنتي صح؟

- صح.

قلبي معاكي. وأغلقت الخط، أغلقت النافذة التي تسلل من خلالها الفرح. . . وتلاشت.

كيف هو مذاقي؟

يجزئني حبك كقطع حلوى صغيرة، يحيل جسدي إلى شوكلاته بإشكال عشوائية، بإحجام متباينة. أذوب عند شفتيك، تعيدين لعقي من على أطراف أصابعك، تغمضين عينيك. أتكاثر في راحة كفك، تتسابق أجزائي نحوك، تصعد إليك بلهفة، كأنها ابتهالات المؤمنين. شيء مني يرقص، يتمرد على ضيق القوالب، جزء مني يتمدد أعلى من مساحة احتوائه، يغني لك: خذيني إليك أرجوك. أنساب كقطرات ماء في حلقك، أسير بخفة كنسمة عطر ناعم، أقبل انحناء تجاويفك في طريقي حتى أسكن صدرك. جزء مني في حقيبتك.. لا تقدميني هدية لصديقاتك، أنا لك وحدك! جزء مني في جيب بنطلون الجينز.. لا تتوهمي اختناقي، فقط ثقي بسعادتي. جزء مني في خزانة ملابسك، ينام داخل معطفك بهدوء الأطفال، لن أثير الضجة، لكن حين ترتدي معطفك احمليني إليك، أستمتع بانتظار يأتي بعده السكن داخلك. كُليّ.. في القطعة الصغيرة بحجم نبضة، بين سبابتك وإبهامك، ارفعيني حتى أفقد الوعي.. وأغيب تماما داخلكِ.

خاثرٌ جدا

-١-

أن تختار العنوان المناسب، يجب عليك أن تفكر كثيرا؛ وهذا التفكير أقصد غير ممكن الآن!

أعترف أن اختيار المكان في مقهى/ مجلس/ قاعة/ مطعم/ منفى. . يشعرني بالقلق! أكره الخيارات المتعددة، لذلك أبحث عن مقعد واحد فقط، وألقي بي فيه، حينها أشعر بالقدرة على التركيز فيما يحدث بالجوار.

-٢-

حين أهمس بأن قهوتي باردة، أنا أكذب! أنا لا أستسيغ شرب الأشياء الهادئة، لذلك أعتذر عن كل فنجان ألتهمته قبل أن يتعرف على ملامح المكان الذي يختنق فيه.

-٣-

لحظة أن أقول أن النادلة تفعل، أنا أتخيل! لم يكن لدي نادلة ذات يوم، فقط هي الأنثى المخلقة من ضلع حرفي، وتكبر في نصوصي، الغريب في الأمر أن أحدهم كان يرغب في ممارسة دور النادلة، ورفضته! خشيت أن أرتبط بالشخصية الحقيقة، وأتوقف عن الكتابة، وأكتفي بالطلبات.

- قهوة خاثرة الآن من صنع يدي.

-٤-

لو أن رأسي فنجان قهوة! أجزم أن الدخان سيحتل ثلاثة أرباع المساحة، وتكتفي القهوة بالتمدد حتى شفتي، وهذا يجعل كلماتي أكثر عمقا، ونظراتي جوفاء، وبقية حواسي متضاربة!

-٥-

لو أن الرشفة تطول! هذه الجرعات الصغيرة تذكرني بحبات السكر المتناثرة على طاولتي، أنا الرجل الأكثر فوضوية على حد علمي، ولا أخجل من إدعاء فضلي على قبيلة النمل، ألست من يتصدق عليها بقوت يومها! بالمناسبة البارحة وجدت مستعمرة نمل، ودونما تفكير وجدتني أحشر التراب بداخلها، حتى أغلقت الحفرة تماما وانتشيت، وقلت في نفسي: فرصة أن يجرب النمل الضياع مثلي.

-٦-

أحن إلى رسالة! هكذا أضع عنواني في الماسنجر، وكأنني أستجدي من الغائبين لحظة تذكار، ويبدو أن الأماني باتت مرهقة حتى على الآخرين، ويبدو أكثر أن الآخرين أيضا ينتظرون الرسائل، ولكن دون أن يدرك أحدنا رغبة أحدنا، لذلك انتقاما مني ومنهم.. لن أبعث بأية رسالة.

-٧-

أبحث عن وسادة! ولأنني ابن الحياة البار- هكذا أعتقد - أجدني أستلقي على الأرض، وانتظر من الأرض أن ترتفع من بداية أكتافي بمقدار أنملة، حتى متصف رأسي، ثم تهدهدني برفق[حتى أنام] وتراقب أحلامي، وتدثرني لحظة أن أرتعد، ثم برفق أكثر تطبطب على راحة كفي حتى استيقظ. هل أحلم بالمستحيل؟

-٨-

أود أن أتوقف عن فرقعة أصابعي، وقضم شفاهي، ومراقبة الساعة! هكذا أجدني اليوم مدللا على غير العادة - وأحلم بالكثير- أنا الذي أقسو على ذاتي واجلدني، فقط حتى أشعر بالتصالح معي، يبدو أنني تغيرت قليلا، يا اللّه! يجب - أيضا- على أنثاي أن تأتي سريعا، لابد أن هذا التغيير سيذهلها، وحينها تبتسم من أجلي، وتهمس: طفلي المهذب!

-٩-

إنه صباح الخميس، وقائمة من المهام تصطف في عقلي، وتنتابني حالة التوتر، أرغب في المزيد من التفرغ، يكفي أن أنبض، وأكتب، وأتحدث قليلا، ولو أن حديثي أزداد مؤخرا وبدوت أكثر ثرثرة عما قبل! يجب إذن أن أتوقف عن التدخل في كل ما يعنيني، وأكتفي بالأمور التي تخصني وتسعدني فقط، حتى أرتاح! وكي أكون رجلا عمليا، سوف ألوك المزيد من العلك وأنشغل بالفستق المملح حتى أتعلم البلادة.

إجازة مفتوحة

- أن تعمل فراشا، ثم تنتظر مني أن أعاملك كملك، تكن سخيفا!

أتذكر هذه الجملة وأنا أقترب من القاضي، وأشعر أن صوتها يرتفع/ تكن سخيفا، سخيفا.. وأتوقف فجأة، لن أتردد أكثر، يجب أن أقرر الآن، إما أن أتخلى عن زوجتي وأنتقم من فهمها؟ أو أن أستقيل من عملي وأمحو خيبتي؟ أو أن أتصالح مع نفسي وأغفر للحياة!

الأخيرة تبدو الأفضل- عادة الحلول المختلفة تأتي متأخرة - أعود قبل أن أسمع الجملة المستهلكة: إن أبغض الحلال عند اللّه الطلاق، وكأنها من باب العلم بالشيء فقط!

أمضي خارج المحكمة، وأحدث نفسي بأن الحياة باتت رخيصة! حتى زوجتي تسخر من مشاعري، تضعني دائما في قالب الوظيفة، وأن عملي يجعلني حقيرا، وكأنها تتفضل بأن تكون معي! أتوقف فجأة، يجب أن أقطع تسلسل هذا الأفكار، لا أريد أن أخسر في هذا العمر، يمكنني أن أحتفظ بلياقتي النفسية حتى أرحل، أليس من المثير لشفقة أن تضع رأسك على الوسادة دون أن تحلم، بل تبتهل إلى اللّه بأن يحفظ روحك عنده ولا تعود؟

- هيه، ما تشوف يا ثور.. مو شارع أبوك، ويرفع يده في حركة صبيانية.

ابتسم بحنق، كدت أتسبب بمصيبة، أنني أفتقد تركيزي بكثرة هذه

الأيام، تبا للتفكير! وللمعقب، إنه يجمع كل سخط الأرض ويصبه فوق رأسي، يعتقد أنني فراش ومساحة لتفريغ غضبه، منصبه لا يسمح له بأن يتخطى حدوده ويعبث بإنسانيتي! ولكن الجميع يتجاوز، عدنان موظف الاستقبال مهووس بالنظافة، يحضر كوبه الخاص من منزله، ويمر بجواري وهو يضع عمامته على وجهه! وحسن ينظر إلى ثوبي كل يوم ثم يمسك بياقة ثوبه ويقول: قيمتها فقط أغلى منك! والمدير يرفض أن يطلب مني أية خدمة، يخشى أن أضع له في الحليب نجاسة، يربط ذلك بلهجتي ومقر سكني، إنه سطحي وسخيف! لا ليس سخيفا.. هذه اللفظة تخص زوجتي، أخشى أن يسمعني ويذهب إلى المحكمة، ويسمع من القاضي النصيحة المستهلكة، وقد يتجاوزها ويصر على طلاقي/ فصلي، وأتوقف عن العمل بقرار غيري، لن أتوقف عن أية عمل حتى أقرر أنا! وأستدرك.. بعد اللّه بالتأكيد، جدتي كانت تقول دائما: اللّه أولا يا ولدي.

- هيه، جب شاهي، ثم يعود إلى مكالمته!

لو كانت لي أمنية محققه دعوت اللّه أن يهبني البلادة، هذا الهاجس بداخلي يجعلني في حالة قلق دائم، يجب أن أنشغل عنه، وأحدث راشد: يا ولدي، تحب أجيب لك شي؟

- تسلم.

ما تشوف أنك الوحيد اللي ما تطلب مني أي خدمة، لا تنسى أنا فراش!

- يرفع رأسه ثم يقول: أنا ابن رجل سبعيني، كان يعمل في السلك العسكري، وفي يوم اختبار مع الحياة أساء له أحدهم، ولن أكرر الخطيئة.

أجلس بخشوع، أخبرني عما حدث؟

- يرفع بصره وكأنه سيحدث رجل في الأعلى، كان أبي خارجا

من مكتبه ولاحظه الضابط، وسأله أين تذهب، فأجابه والدي: أنهيت عملي، فقال الضابط: العمل مرتبط بتوقيت، ولا ما تعرف الساعة يا حمار! يمكنك تخيل كل شيء حدث حينها، أن يضربه أبي بيديه ورجليه وبحزام البنطلون، ثم ألقى به من أعلى الدرج، وبعدها تم سجن أبي وفصله!

أنا بتوجس، لم أفهم؟

- أبي أخبرني ذات درس وقال: أحترم الناس من أجلك. وأنا أعتز بك حين تقول يا ولدي، ولن اطلب منك شيئا كنت سأرفض أن يطلبه أحدهم من أبي حتى لو كان فراشا!

وبعد صمت يقول وهو يبتسم: بس ليه ما تطلب تقاعد أو إجازة على الأقل؟

- وأشعر أنها المرة الأولى التي سأتكلم فيها إلى غيري، وأقول: انتظر إجازة مفتوحة من الحياة.

سخافة المهرج

عملة نقدية قديمة لا تقدر على منحك رغيفا صغيرا بحجم دائرة صغيرة! عملة غبية في زمن متغير، أحتفظ بها رجل في صرة من أجل الحاجة، الحاجة التي تورع عن الاعتراف بها ذات بكاء من طفلته، كابر وأدخرها ليوم أكثر حاجة!

الأيام لم تنتظر، هربت وتركت له قطعة بالية يقلبها دون قيمة، يقذفها إلى أعلى وكأنه حكم بين زمنين متناقضين، لا أحد يلتفت إليه، صوته كصفارة لتنبيه صبية الحي أن رجلا عجوزا يحاول أن يندمج مع لعبتهم، هم لا يكتفون من ملاحقة أحلامهم، وهو لا يكتفي من الصراخ، ولكن قوانينه لم تعد صالحة فقد تغيرت اللعبة كثيرا!

يرمي بالعملة إلى السماء وهو يقول: الوجه يوحي بأني حي، الشعار يوحي بأني ميت.. حين يلتقط العملة لا ينظر إليها، الحقيقة موجعة بالتأكيد، أيضا لا يؤمن بالصدفة.. هو يعلم أن الحظ قدر أكبر من توقعاتنا الصغيرة، لذلك يدع للزمن الجديد مساحة للمفاجآت، ويمضي وهو يصرخ: قوانين اللعبة تغيرت!

يخرج في الظلام كأنه شبح، الجميع يهرب منه وهو يلحق بهم حتى يخبرهم أنه إنسان قديم فقط، لا يمنحون صراخه فرصة أن ينصتوا ولو مره! هو ليس سيئا تماما ولكنه سيء بعض الشيء، الحياة لا تعترف

بالمثاليات، سلبته مبادئه منذ لحظة ضياع قيمة أشياءه.. أكثر ما يشعر بالألم أن تفقد قيمتك!

البيت المهجور -المحشور بداخله تاريخ تلاشى- هو ملاذ ذكريات مبتورة، وروح معطوبة كشريط كاسيت لم يعد يجد آلة تقدر على إيقاظه. الحياة تسخر منه، هل سمعتم النكتة؟ هي لا تدعو للضحك بالمناسبة! وهي لا تثير فيك أي شعور يستحق التدوين، فقط أخرج من جيبك الأيمن بعض ريالات وأبحث عن أخر أغنية وأحصل عليها، وجرب أن ترقص على نغم الحاضر.. الرجل المسن سيحضر حتى يقول: كم كانت الحكايات تتشابه، ويضحك بفضاضة تقزز، يغلق المسرح ويقذف به في الخارج، هو في الخارج منذ البداية ولم يكن يحتاج هذه الضربة القاصمة! متسخ من أثر أحذية العابرين، ينزع عنه ردائه الممزق، يقفز إلى البئر، البئر التي كانت ترويه.. هي الآن جافة.

- صوت تهشم شيء رخيص!

لا تهتم يا صديقي، لنعد للرقص.

قلمي الذي أتوكأ عليه، ولي فيه حياة تكتب

-١-

أنا الملاك الثالث المكلف بتدوين الحكايات. . لست جميلا حتى أحضر على يمين أفكارك وأتكفل بملاحقة حسناتك، وما كنت المهيأ لمتابعة سيئاتك! أنا الصلصال المختلط من خير الحياة وشرها، من رزنامة الألوان مجتمعه، من قبضة اللّه في الخلق الأول، من كل لذات العالم وأوجاعه، من صعلكة المشردين وانحراف العاشقات، من جنون التائهين وحنين المغتربين، من غصة المحرومين وحشرجة الغائبين، من صلوات المنتحبين وخيانات المقربين! باختصار؛ أنا نموذج الحياة المحشور في نص ملعثم.

-٢-

أفكاري تمارس سباق التتابع، تبترني في جمل صغيرة بحجم قدرتي على استرداد أنفاسي!

لا أعجز عن المضي بعيدا، ومتابعة الخطوات حتى النهاية، إنما يرهقني أن مضمار الحياة حلزوني، وأعود لنقطة البداية كل مرة! ستذكرني المقاهي والأرصفة وطوابير الانتظار، ستذكرني الساعات المتأخرة في ليالي الشتاء، ستذكرني المعاطف والجيوب الفارغة من أصابع الاشتياق، ستذكرني المقاعد المنزوية في الظل، ستذكرني

الروايات الموجودة بين مذكرات الجامعة، ستذكرني أكواب القهوة الداكنة، ستذكرني لوحات المفاتيح المطموسة، ستذكرني بطاقات الشحن فئة العشرة ريالات، ستذكرني الأغطية المتداولة في شقق العزوبية، ستذكرني المنتديات بشكل ضئيل جدا، ستذكرني طفلتي فجر بشكل كبير جدا.. وتجزم أني بطل خارق، كما يفعل الصغار عادة بإنجازات أبائهم!

-٣-

تمنيت أن مشعاب جدي أسطورة تناقلتها عجائز القرية، تمنيت أن يغفل البيت الطيني عن تلاحمه ويستعير المشعاب في شقوق سقفه، تمنيت أن تحظى هذه المشعاب بكرامة وتصير شماعة! ولكن اللّه وحده أراد أن أرثها، وحده اللّه قدر بحكمته أن تصير في يدي قلما يسندني كلما أرهقتني الحياة، الحياة المسئولة عن تحولي فجأة إلى رجل مسن في عمر الثلاث سنوات، وأشتعل الرأس شيبا.

-٤-

الباب الذي دخلت منه.. منه خرجت، وكأن مساحة حضورك بمقدار عتبة!

تنويه: لا تدهس -صديقي- على ذكرى اللقاء، وأبحث عن مسار جديد يقودك للبقاء. الباب الذي أوجعك بتمنعه غادره، وأتجه نحو بوابة المطار بلا تذكرة عبور، ودع أسلحتك في جوفك، وتجاهل صوت المفتش ونحيب جهاز الإنذار، وأرحل إلى باب يفتح قديمة ليمهد تسللك نحو عالم بعيد!

عاجل: وردنا عن أحدنا أن مجهولا يحمل برفقته وطنه قد بتر ساقيه بعدما تخطى الحدود.

منفذ روح

من ثقب الإبرة يتسلل الضوء حتى يلتف كخيط تنسج به الحياة ثوب الأمل.

- تقول: فراغات القدر هي مساحات العمر!

وأعيد صياغة المقدمة.. من نافذة قلبي يشع النور، طريقا أسلكه، صنعته بنفسي. تنصت: وعيناها تقرأ إلهامي، تضع سبابتها على كلمة صنعته!

- تقول: في مشوار كل إنســ

أستيقظ؛ انتفض مرتعدا، افتح عيني مشدوها، ويني؟

غبار تراكم.. أنفاس منهكة.. نافذة موصدة.. دبيب عقارب ساعة كانت في هذا الجانب، واا.. ما الذي كان هناك.. ماذا.. ماذا! يا ذاكرتي، وأتوسل ذاكرتي أن تساعدني، ولا تفعل! يد قد ألف الباب عناقها- دون صرير-ينفذ شيء عجزت عن معرفته، حتى يكون بجوار جسدي، دون أن يحرك شفتيه يتمتم: صباحك يقظة.

أمسك بعنق أفكاري؛ مهلا.. أكنت في غيبوبة؟ آخر شيء أتذكره هو هو هو.. ساعدني أرجوك.

- يبدو انك تعرضت لـ صدمة؛ أتذكر في يوم ٨/ ٦ أنك فقدت الوعي، وكنت تحت الملاحظة، ولم نقدر على تحديد السبب، كانت كل النتائج طبيعية عدا نبضات القلبـ..

خوف يكاد يفتك بي، وأنا أتحسس صدري. . وبعدّ؟

- كان التسارع هو العلامة الفارقة، حتى ما قبل الساعة، حين صدر صوت جهاز التنبيه، وعند حضوري وجدتك كما أنت الآن.

أتظاهر بالشجاعة، من أنت؟

وبعد صمت طويل أتذكر أن المكان فارغ حتى منيّ!

مزاج معفوط

على صوت المنبه الذي اشتريته بعشر ريالات وأضفت ريالين للبطارية استيقظت، كانت الساعة تشير إلى الخامسة فجرا، بالكاد استطاعت يدي أن تصل إليه حتى تقمع صوته ويصمت، تمنيت حينها أن يعم السكون كل العالم، أود أن أنام، أود أن أحلم بأنثى أو بكابوس أو بمصيبة ولا أصحو!

أعلم في عمق عقلي الباطن أن الاستيقاظ متأخرا يكلف الكثير، لم أكن بحاجة أن أعيد على عقلي -وهو للتو ينفض غبار الكسل- قائمة بقوانين الحياة، ألا يكفي عقلي المسكين بؤسا أنه لي؟!

- هناك خارج المشهد صوت يقول: يكفي.

رفعت البطانية الحمراء التي وهبتني إياها أمي بعد أن أهدتها إياها خالتي عند ميلادي، لا تتضايق أمي -وأنا أحب أن أشعر بحبها حين أذكرها- قلت أنها لا تتضايق أن تحتفظ بأشيائنا زمنا قياسيا، أعتقد أنها تؤمن أن كل الأشياء ثمار والوقت يساعد في جعلها تنضج، لذلك لا تكف عن ترديد: يأتي الغد ويعيد ترتيب الأقدار!

لو تسمعني أمي الآن حتى لو بلغة التخاطر التي نشأت بالحبل السري وتبقى على مستوى عواطفنا، يجب أن تعيد النظر في رؤيتها للأمور.

- صوت خارج المشهد يدعوا إلى الصلاة.

في البطانية الحمراء رائحة العجوز الريفية، أنفي استعاد قائمة ببعض عطورها، البرك الريحان الكادي الشيح والحناء أيضا.

- وتعبر بذاكرتي أطياف من أعراس القرية.

استيقظت واستيقظت ذاكرتي، ولكنها لم تفعل- ذاكرتي- هذه اليقظة في اختبار المقابلة في كلية الملك عبدالعزيز الحربية قبل ثلاث سنوات، وبقيت صامتا دون كلام، الآن أعلم يقينا أن ذاكرتي ليست هي صاحبة التقصير، بل أن أبي لم يكن عضوا في مجلس الشورى حينها!

- بدأ الضوء يتسلل عبر الشرخ الموجود في النافذة.

خرجت من البركس أو الحظيرة لا تختلف المسميات فكل المعاني تصل بك إلى مكان مقزز، رفعت يدي حتى رأسي أو تخطت حتى أفق أحلامي قليلا وضربت التحية، وكعادتي أرفقت معها ابتسامة -بالمناسبة هذا الضابط في عمري تقريبا- رتبته ملازم ورتبتي جندي، يتفوق علي في كل شيء، وأقول كل شيء متجاهلا أن يكون التفكير ذا قيمة، لأن الأفكار لا ترى، ونحن مجتمع لا يقدر أي شيء لا يمكنه لمسه!

وكعادته أيضا -الملازم الذي يتفوق علي في كل شيء- ابتسم بتفاخر، ورأيت أسنانه كأنها أعواد ثقاب قد احترقت، وشفتاه كمنفضة سجائر بالية، وأنفه تكتل شمعي، وعينيه بيضتين فاسدتين، وجبهته ستارة مقلمة، وشعره كومة صوف أسود تعرض لعبث قطة!

كدت أن أنفجر ضاحكا، هذا الخيال الناقم يسعدني، تمالكت نفسي وخطوت نحو الزنزانة، ربما نسيت أن أضيف أنني جندي في السجون السياسية. لا تخف يا صديقي، فالمباحث كالجن، تقترب من الخائفين، أرجو أن تتعلم مني هذه الحكمة: قلبك حديقة تملك أن تختار ما تبذر فيه.

اليوم الأول في العمل يوم الدهشة، وهذه التفاصيل التي تجدها الآن كثيرة هي فقط لحظات من يومي!

- في المشهد صوت يسأل: كيف المزاج؟

يوجد علبة مشروب غازي فارغة، تعرضت لدهس من عجلة سيارة قديمة شوهت ملامحها؛ بالضبط تشبه مزاجي الآن، مزاج معفط.

- آخر لقطة في المشهد جُملة: الكتابة تجاوز!

باك

عاد الرجل الذي ظننت أنه مات! ولأني الأقل حزنا على فراقه كنت الأقل صدمة، أما أنثاه التي آلت إلى رجل جديد فحدث أن فقدت وعيها بضعة أيام ثم استيقظت وهي تلعن الآفلون، ومكانه الذي كان يخصه انتقل إلى مالك آخر وأخبره أنه: لا يخون ربه ولفظه! حلم ترعرع فوق أمنياته قطفته يد بعيدة وتبنته، صفة المرحوم التي التصقت باسمه مؤخرا عجز عن محوها ولازمته كفضيحة، أخر ما فعله هو تبرير نسجته بقايا خطواته، فكان قوله: كل ما حدث أني أردت أن أعتذر من الحياة لفترة قصيرة وتمنحني (تيت) وحين هممت بقول (برب) تشنجت فخرجت (باي)!

وغادر الرجل الذي توهمت أنه عاد.

توقيت الكتابة!

ترتفع الكلمات كغيمة من دخان، تختلط رائحة الحروف مع عبق الحزن، يدي تحاول أن تبعثر كومة الصمت، تتحرك دونما انتظام، -كأنها تلطم- ولكنها تعجز عن فعل شيء، هذه الغيمة جامدة كذكرى قديمة، ولا تمطر! ولا تكف يدي عن الصراخ، والكلمات ترتفع وتتكاثر، تختلط بالخوف وتتكسر، فتبدو في مرحلة ضعف قابلة للسقوط، وفجأة.. ترتفع أكثر، وتطير! ولا تكف يدي عن الصراخ، والكلمات تزدحم فوق رأسي، والحبر المتخثر في وريدي يتعثر، أحتاج أن أجرحني.. أن أسمع منكِ أنتِ كلمة تبعث بداخلي انتفاضة، كلمة كطعنة في قلبي وأنزف، ولكنك غارقة في الغياب، وأحتضر! ولا تكف يدي عن الصراخ، والكلمات تختنق أمام عيني، والحبر يتجمد في عروقي، وأنتفخ من الحكايات، أبدو كمنطاد والأرض تتمسك بي، يبدو أنني سأقتلع الورقة! ربما أرفع الأرض نحو اللّه، نحو همس الملائكة، ولكن أخشى أن انفجر! ولا تكف يدي عن الصراخ، والكلمات تصفعني، تصافحني وتدعوني إلى منازلتها، وأقبل التحدي، ونتصارع.. قد انتصر! ولا تكف يدي عن الصراخ، والكلمات تحتضر في لحظة امتدت منذ الحرف الأول وحتى آخر كلمة، ونسافر!

تكسب

كانت العجوز تعيد قائمة الشروط على طفليها، السيارة الجميلة تعني أن بداخلها رجل ثري، يجب أن تختار الأكثر عاطفة! أفهم في عينيه ستلمح رأيه.

عند الإشارة الثالثة كان يكسب رزقه، الطفل الأول يعتقد أن الحظ سوف يأتي من الشرق لذلك يقف بالقرب من شجرة، ويفتح ملامحه الحزينة ويتكسب.

الثاني يقف في الشمال يقول أن الفرج سيأتي ويطير به، على يمينه مطعم، وفي يمينه كسرة رغيف. يطرق الأول نافذة رجل أربعيني، يرفع يده ويتمتم (اللّه يعطيك) يلح الطفل وبداخله يدوس كرامته أكثر، تفتح الإشارة معلنة ضياع الفرصة، يهمس: سوف أتنقل بين أكثر من شخص في المرة القادمة. الطفل الثاني يسير بثقل حتى يطرق نافذة سائق تاكسي، دونما كلام يرفضه، دونما تغير على ملامح الطفل يلعنه في سره، ويسأل في سره أيضا: كيف يقدر هذا التاكسي على نقله من الألم إلى الفرح! الطفل الأول عند الإشارة في المرة الثانية، وسيدة سبعينية يبدو أنها حنونة تشير إليه، يجري وقبل أن يطرق النافذة تفتحها وتهبه عشرة ريالات، يطير من الفرح، وينتبه لصوت أبواق السيارات فيعود إلى رصيفه بالغنيمة. الطفل الثاني، يقترب من سيارة بورش صوت الموسيقى فيها صاخب، يرفع يده فيخفض السائق الصوت ويخبره أنه

يبحث عن المال، فقط يرجوه أن ينتظر، تفتح الإشارة وتبدأ أصوات الأبواق من جديد، يرفع قارورة مشروب غازي ويقذف ما بداخلها على الطفل، وينطلق! الطفل الأول يسير مبتسما نحو أخيه- بداخله لا يهتم بما حدث- بالعادة يحدث ما هو أكبر، ولكن يود أن يتقاسم معه حظه، ويأخذ نصف العشرة. الطفل الثاني يصفع أخاه حين يقفان قبالة بعضهم، لا يجد متنفسا إلا هذا الصغير، يأخذ العشرة ريالات، يطلب وجبة ولكن يعتذر البائع لأن الأسعار ارتفعت! يعود ويصفع أخاه ويكرر، السيارة الجميلة تعني أن بداخلها رجل ثري، يجب أن تختار الأكثر عاطفة! أفهم في عينيه ستلمح رأيه- ويكح مثل أمه-يعود الطفل الأول إلى مكانه، تمسك به يد من معصمه، من لمسة اليد يتنبأ أنها لا تنوي به الخير، يأخذه الرجل نحو السيارة الواقفة بجانب الطريق، على باب السيارة شعار: مكافحة التسول، الطفل بالمناسبة لا يعرف القراءة! الطفل الثاني يجري خلف السيارة التي أخذت أخاه.. ودون أن يسمع أية صوت تصطدم به سيارة قادمة من الشمال، ويطير.

فنجان قهوة «مغلوب»

تعريف: أنا الرجل المشرد الصعلوك السيئ، الشيء الذي يصلح أن يوضع لافته على مقهى ليلي، الصورة المناسبة لورقة الجوكر في لعبة الكوتشينة، الأسطورة المشينة في كتب القديسين القدماء، كابوس الفقد الساكن ذاكرة الطيبين!

تتمة: عن الرجل الذي أعرفه وأجهله، الرجل الذي ألتقيته مرتين وافترقنا، تصافحنا وتواعدنا، ترك بعض رائحته في راحتي وتركت بعض وجعي في صدره، غادر وهو يحمل بعض أشواقنا ولم يدرك أن الحياة صغيرة، تغافل الوقت وسرق لحظة كبيرة منه.. وكأنها غنيمة، يعود الآن ليخبرني أنه الرجل المشرد الصعلوك..

تورية: يخطر ببالك أنك علبة كبريت بين يدي القدر، يعبث بك -القدر- دون حذر فيجعلك مرة حرامي، ومرة وزير، ولا يرتقي بك لتحظى بالملك، فتغضب بكل ما فيك وتسخط، وتثور بقولك: اللعنة على الملك، اللعنة!

تبرئة: النصوص المتفرقة في الصحف والمجلات، والجمل المبتورة على جدران المدارس والمقابر، والحكايات الصغيرة المتفرقة بين منتديات العالم الافتراضي، والشعارات الموضوعة في واجهة المواقع من بقايا حديثي.. جميعها تشي بالغربة التي طوقتني زمنا طويلا لم يعد لي بها حاجة وأنسلخ منها!

تعويذة: تقلب فنجاني لتقرأ طالعي، وتسحب معطفها لتجر عنقي إليها ثم تخبرني: فنجانك مغلوب عليه من دخانك، لا تقربه من شفتيك مع كل رشفة كي لا يختنق بثرثرتك، وابحث عن ورقة بيضاء كبيرة وأنفث فيها حكايتك!

تمثالٌ هشّ!

فوق رف المكتبة ضعوني تحفة، دعوني أتجمد على الحافة ويسكنني الفراغ. . أمارس صمتا مطبقا، أغمض روحي وأغفو كالأموات، عانقوني بنظراتكم التائهة، أعبروا بجواري وتمتموا بالألم، تصنعوا الترتيب وامسحوا غبارا يتلبسني، حاصروني بكتاب ممزق وبرواز يبحث عن صورة وساعة منهكة بالانتظار وخدوش في الجدران، قيدوني بالكره القابع خلف أقنعتكم، أنفثوا اللعنات مع زفيركم حين تتأوهون ويدكم تغير موضعي، ابتسموا بعد أن تقتلوا حشرة سرقت من أجسادكم لقمة عيشها واستكانت فوقي، ضعوا منديلا أبيضا يسترني وأنتم تغلقون أرواحكم وتسافرون بعيدا، أقذفوا بمفتاح خزانة أسراركم في جوفي وفاتورة الهاتف والماء والغباء، وشهادة حسن السيرة والسلوك الكاذبة. أسكبوا شيئا من مرارة الحقد العتيق فوق ركام فضائي، أغسلوني بلا ماء، أجمعوا بداخلي خيباتكم وانكساراتكم وحزنكم وحبكم. . لا فلا حب يعرفكم! بسدادة أسفنجية تشبه كسرة الخاطر التي تحاصرون بها الإنسانية أحكموا إغلاقي، أحملوني إلى بئر مهجورة، أطلقوا سراحي، وأدنو رؤوسكم من الحافة. . أتسمعون ارتطامي حين سقوطي؟ في اليوم التالي. . تعالوا كي تستردون ذواتكم، ولن يتوه أحدكم في أن يتعرف على هويته، أيها الضعفاء!

إن صدق ساعي البريد فالكثير من الرسائل ستهطل بعد قليل

-١-

هو يجزم أنها ستمطر، ولكن يعيد التنويه: لا تتوارى عن الغيم، وتظاهر بأنك نسيت المظلة، وتسكع! اخرج من المكان الذي مل من أنفاسك، وأبحث عن رصيف لم تعبره من قبل، وأضرب بقدمك الأرض وتتخلق أمامك متاهات جديدة، غامر وثق بحدسك، وحين تشعر بالتيه ابتسم وتحسس الجدران، أنصت للعثمة الذكريات، وتخيل أنك تجمع ألف جملة وتكتب قصة، وأصنع بطلا استثنائيا، لا تجعله فنتازيا وخارقا، لو كان طويلا ونحيلا ويرتعد سيكون أجمل، دعه يتلون كما فصول السنة، وأختزل فيه كل أحلامك، وحين تضيق به صيره قلادة، وعلقه على مشجب الانتظار حتى حين!

-٢-

تبصق على النافذة، تنسى أن تفتح النافذة قبل أن تتجشأ باختناقك، تعيد المحاولة مرة أخرى وتبصق على الأرض التي تعاني من الجفاف، تجتهد في مراقبة الثقوب وهي تمتص غضبك، تعلم الآن أن لوثة أصابت بقعة من البسيطة، ندبة أرجوانية على شكل طفح صغير تنمو على الجدار المقابل، تلعن الحشرات والدمامل، وتصرخ في محاولة بائسة لتنبيه المخلوقات اللامرئية بأنك منزعج، تسحب أخر نفس من

لفافة وجعك وتتأوه، يمكنك أن تنام بعد قليل. . أستحضر أحلامك بسرعة قبل أن تداهمك كوابيسك، وتتبعثر!

-٣-

تتعثر كل محاولاتك في جذب الانتباه، مؤلم أن تشعر بأنك غير مرغوب بك، مجرد الإحساس بأنك مطلوب يدفعك لإبراز مفاتنك! تكره أن تصل إلى سن اليأس في وقت مبكر، تبحث فيك عن أكثر ما تراهن على أنه يخصك وحدك، تكتئب لحظة أن تتشابه كل أشيائك مع ممتلكات غيرك، يا اللّه ساعدني. . ساعدني بمهنة مميزة تجعلني محط بحثهم وحاجتهم، أود أن أبدو شيئا مهما ليوم واحد فقط!

-٤-

أنت بطل! أنت جزء من هذه العجلة التي تمنح العمر فرصة أن يستمر، لا تتكاسل. . فقد يصطدم بك من يقف خلفك ويدهسك، تحامل على سخريتك من وظيفتك وأكمل عملك، كن مؤدبا وأرضى بالمكان الذي شاءت لك الأقدار أن تدفعك لسده، وتظاهر بالإخلاص حتى تحين لحظة انتقالك إلى مهمة قادمة، ستكون قطعة صلبة في مسار القطار بعد ترقيتك، أرجوك لا تغفل عن عملك وإلا تسببت بكارثة في انسياب الرحلات المغادرة، وعمت الفوضى التي نرفضها معا، ونقسم أن الحياة جميلة ومهذبة وتخطو بثقة وتصادق السماء على نبلنا!

-٥-

دعك مما تجود به الشتائم في شخصي، المهتمون بتحليلي حسب أمزجتهم قاصرون، يعجزون عن مسألتي ويكتفون بتجريحي عن بعد، ولا أبكيهم! لا تهتم بي كثيرا حين أمارس دور الضحية. . أصيرني إلى مظلوم وطفل وديع، واجعلني حالة حزن مزيف، وأكون شيئا بال تماما كالعام المنصرم والفرص الضائعة والكلمات الفارغة والكماليات المرهقة

والصناديق الهزيلة والشيخوخة المستعجلة! أنت تضحك الآن لأنك تعي وحدك أني أهذي فقط، أثرثر لمجرد أن أخبرك أن السماء تمطر حبا والأرض تنبت شوقا، وأشتاقك.

-٦-

حين تكتب رسالة لا تبذل الكثير من الجهد في رصف الكلمات! الكتابة ليست لوحة تشكيلية؛ الكتابة هي مد خيط صغير طويل جدا من قلبك لقلب تتنفس من نبضه، الكتابة هي صنع منشور يحيل المشاعر الملونة إلى طيف واحد، الكتابة هي أنثى بالغة في التمنع وتمنحك في كل لقاء جزء منها، الكتابة تمرد على الكلمات المبحوحة في شفاه تعاني سطوة الخجل، الكتابة هي البحث في شيء مجهول عن شيء مجهول قد يكون معلوما في نص قادم، الكتابة هي الثرثرة!

-٧-

المسمار الذي خدش باطن قدمك ينتقم من المطرقة، الحبر الذي لون طرف سبابتك يبالغ في التمدد، الماء المتجاوز سقف الغرفة يفضح ثغراتك، الوجع الساكن في محاجرك يقتص من استسلامك، الطابور العاثر أمام تقدمك لقطف فرحتك يمنحك فرصة التخلص من أوهام حزنك، الفراغ المنتفخ في صدرك يضغط على أوردتك حتى يدفعك لنبضة تخلد في قلب أنثاك، حرفك القاصر ملابس شتوية أقل من مساحة جسدك المفضوح أمّا النصوص القصيرة فهي مسكنات مؤقتة!

-٨-

لقد تغيرت الهوايات. . عفوا تطورت! الرجل المهووس بجمع الطوابع وتربية الحمام وتقليد الشعراء انتهج طريقة جديدة، بات يمارس جذب الفتيات، ويجتهد في الحصول على أكبر قدر منهن، في المنتديات والشات والماسن والجوال، ويبتسم أن يومه يكتظ

برائحتهن، يشعر أنه محظوظ ويحتفي بطريقة تحرضه على البحث عن المزيد، هو ليس أحمقا، وهن لسن رخيصات، كل ما في الأمر أن الصورة غير مكتملة وتتيح لمن يريد أن يكملها فرصة أن يفعل، وتبدو الحياة كذبة كبيرة، وبعد فتره لا يمكن التنبؤ بمدتها ستتضح الرؤية وربما ستبقى الكذبة هي الحقيقة دوما ولكنها تبقى كفلم أبيض وأسود من عهد السبعينات، هكذا تبدو الحكايات الهزيلة، فتبا لهم حتى يعودوا إلى رشدهم.

-٩-

الرسالة الأخيرة: هو لا يتجاهل الصدى، ولكن يؤمن أن كل حرف هو صوت.. ومدى!

هاجس الارتباط

تلتف حول البنصر كحبل المشنقة، تضيق حتى تحبس الدم، يحدث نفسه عن ارتباط حياته بها، ذات القوام الممشوق والصوت الرخيم، يزداد الألم في أصبعه ويصرخ، بل هي حمقاء ساذجة حد المرض! ويصر على أسنانه وهو يحاول نزعها من أصبعه، يصرخ بصديقه: نااااصر خلصت البيبسي.

- اتفقنا اشرب نصف العلبة.

أوف الحلقة الدائرية حقت الغطا مو راضية تطلع.

- واللّه إنك مجنون.

من حقي أحلم بالزواج، بس خلاص ما بحلم، ساعدني تكفا.

- تصدق زمان ما كان فيه علب، كانت كل المشروبات الغازية في عبوات زجاجية، شركة كوكا كولا في البداية تنافست وشركة بيبسي، بس تفوقت شركة الكولا بشكل فضيع..

ما يهمني كل هذا، أصبعي صاير أزرق!

- يكمل ناصر بتجاهل، وكان فيه إنسان مبدع، تقدم لشركة بيبسي بفكرة «العلبة» وحققت نجاح مذهل حتى الآن، باختصار: الحياة فكرة وتكبر. وخلاص طلعت الحلقة، هه قصدي الدبلة.

بذهول كيف؟ ما حسيت تصدق!

- نقل التركيز، أشغلت عقلك الواعي بموضوع تطور المشروبات،

ولم تشعر بالألم فكان من السهل نزع الدبلة، هي حالة من التخدير فقط.. وخلصت البيبسي، ويهرب ناصر. يتحسس سالم أصابعه ويفكر في ذات القوام الممشوق والصوت الرخيم ثم يلعنها لحظة أن يشعر بالعطش، ما يلبث أن ينتبه إلى صالح وعلبة الحلوى التي بين يديه، يتجه إليه وهو يفكر كيف ينقل تركيزه المنصب بقوة على الحلوى ويسلبها منه!

ضمة (ُ)

-١-

لا تدعني علامة صغيرة على كلماتك، لا تشعرني أنني شيء إضافي قابل للحذف، لا تهمس لي بالكثير من التبريرات عن رفعي، لا تستشهد ببيت شعر يعلل وضعي في الأعلى كأمنية، لا تخبرني عن احتمال تمددي وأكون فتحه، فقط أستند علي ودعني أسندك.

-٢-

لا صوت يسمع سوى حفيف الأشجار من شخير العصافير، نافذة المنزل المجاور لا تفتح إلا مرة كل شهر حتى تقذف الفتاة بأخر وردة ذبلت على الشرفة، النحلة التي اعتادت أن تمتص من أنفاس الفتاة لم تعد تطيق الانتظار، وغابت.

-٣-

ترتسم علامات الخجل على باب صغير يؤدي إلى غرفة فارغة، تنكمش الحكايات في نقوش السقف المكتظ بدخان سجائر لقاء قديم، هو/ هي. . كانوا يمارسون الاحتراق بشكل يخلد قبلاتهم، تقول الشمعة عنهم: كنت أختنق بصوت غيابهم، كانوا يتأهبون للفراق.

-٤-

أشياء كبيرة تحدث، تفاصيل صغيرة هي قطرات مطر تنبت أشجار صغيره، أشجار جميلة تتعلق بالشرفة. . تتلصص على أنفاس تهبها

الحياة. . من قال أن الضوء هو شعاع الشمس؟ هناك أنفاس هي ضوء وأكسجين.

-٥-

في أبجدية لعثمتك باسمي تمهلي قليلا، حين يخرج الميم وكأنه بداية قبلة لا تكملي. . قبليني.

-٦-

بعد أن تلملم أشيائك المبعثرة على صدري، قبلاتك وعطرك ونبضك، لا تنسى أن تدثرني، أحتاج أن ألتحف حبك. . الشتاء يخبرك أني أحتاجك أكثر.

-٧-

تفوز حين تبتكر! دع كل الطرق التقليدية، أخرج عن الممكن والمعقول، مارس جنونك. . عبثك. . عزفك. . متعتك بتفاصيلك الصغيرة، استمتع بك! قد تلمح طيفا يصرخ بأنا ظلك، قد تسمع صوتا يشبه صوتك. . قد تبدو أنت يا أنت في مرآتك، لكن! لن يبصر أحدا ما تخفي من عظمة خلق الباري في أعماقك حتى تكتب! أن تدمن متعة أن تكتب، أن تحضر أشيائك في حرفك، أن تصرخ دون أن تصفعك حواجز ضعفك، أن ترفع أحلامك حتى تشدو بك بلابل نصك، أن تصنع من لحظاتك نقاطا تصف ملامح روحك، أن تفعل ما يمليه عليه ضميرك، ثم تسحب جسدك حتى تغفو تحت الغيم، وتنسى الضيم وتفكر كم ميما في اسمك؟ ميم أولى. . وتأخذك اللحظة، حتى تنسى أصحابك، تسمع صوتا، تنصت أكثر، نحن مجموعة ألعابك، من ميز ميمك عن باقي حروف هجائك، وتخجل من ذاتك، وترفع كفك تعيد ترتيب حروفك، ميم حاء. . ألف باء!

كائنات بشعة

يحق لك أن تتجاهلني في حالة واحدة: لحظة أن اسأل عن التاريخ! لا تجب، لأني وحدي من تعبره الأيام ولا يكترث.

اليوم هو الخامس والعشرين من الشهر وقد حان موعد الرواتب، وقد حان الوقت لأقول: يا متمردين لسنا مثلكم! نحن ملتزمين بالتوقيت ونتوقف عند الرابع والعشرين وتبدأ الحياة بيوم جديد، ونبتسم حين نلمح طوابيركم وأنتم تتزاحمون أمام ماكينة الصراف وتعم الفوضى!

عذرا. . نحن بسطاء الحياة نتناوب على تهنئة بعضنا بأننا بسطاء، ونحتفل بمناسبات خاصة، فمثلا لدينا يوم التضامن العالمي- وهو الأول من شهر ديسمبر - نتبادل فيه الحب والقبلات ومعاطف الشتاء، وفي منتصف شهر أيلول تتزاحم أمنياتنا وتتوحد كلماتنا ونردد: الأرض لهم ولنا السماء.

نحن البسطاء متفائلون وصادقون وحالمون وأذكياء، ونعاني من حسد الأغنياء، وننام في أحضان ثرواتنا الصغيرة، ولا نحصي كم نحن مظلومون، اللّه وحده يدرك أننا عباده الأتقياء، وأشياء الحياة المهذبة.

قبل اليوم الجديد: ربي أجعلني بسيطا في أعينهم، عظيما في عيني وعينيها وعينك التي لا تنام.

قص رقبة

لا فرق بين أن أجد فكرة وأكتب، أو أن أكتب حتى أحصل على فكرة! في النهاية هي حالة تنفس بطريقة خاصة، هي تفريغ شيء ما يحدث في رأسي، لم أقل عقلي لاحظ ذلك! المفترض أن في رأسي عقل.. ولكن لا أجزم بذلك! وفي راسي أيضا أثر جرح قديم، عذرا أثار عديدة، أتذكرها حينما أضع رأسي بين يدي الحلاق، ويبدأ في تعريته، وتستيقظ ذكريات مؤلمة. من قال أن في الماضي فرح؟ حتى الذكريات الجميلة تأتي على هيئة وجع -كل ما سبق في الماضي لا يقدر على بث السعادة في اللحظة- تبا لكل الذكريات والماضي والأمس والرحيل.

- نعيما.

بل جحيما أيها الحلاق الأحمق!

أعلم أن الحزن خفيف؛ حد أن أية صوت قد يخترقه ويتسرب! من يلملمني الآن؟ أرجوك لا تضرب بيدك على صدرك وتهمس: أنا! أرجوك لا تجازف بنفسك كثيرا، أتذكر أن أحدهم يجلس الآن في زنزانة لأنه قدم [فزعته] وضرب على صدره -ويقال أنه أمسك بشاربه- لأن أحمق آخر طلب وقفته، ربما تعتقد أن الحظ خذله، وقد تعتقد أن الظروف لو كانت أفضل لكان الحال غير ما هو عليه، أرجوك دعك من هذه المثالية، لا أحد يمنحك الجميل ولا ينتظر منك الرد، أختصر على

نفسك وتجرع صفعات الحياة وحدك، لأنك لن تقدر حين تحتمي بغيرك ذات [فزعة] إلا أن تستعد لحمايته ذات صفعة! يا اللّه أين أخذتني الكلمات، يبدو بل حتما أنا أهرب من شيء ما! لا أريد أن أدون الحالة كما تكن، دونما إضافة وتحوير، بعض المداراة رائعة، تجعلك تحصل على مرادك بخبث، عفوا إن لم أخبرك أن النبل أن تجرب بعض التجاوزات، وتفتعل الفوضى دونما حذر، لاشيء يستحق الخوف، اقفز على رأسك فوق كومة صمتك ولن تموت! لن يحدث أكثر من أن تجلس ذات يوم بين يدي الحلاق وتتذكر أنك سقطت! لن أقول ابتسم، جرب أن تصرخ وتلعن حتى الذكرى، هكذا تبدو أكثر أناقة.

بالمناسبة أنا أكره أن أمارس دور الناصح، ولكن فعلت وقدمت لك مقترحات غبية، ولكنك ستهتم بها!

- ما عندك صرف؟

إنه يسخر مني هذا الحلاق الأحمق، يعلم أن العشرة ريالات هذه هي كل ما لدي، ويتعمد أن يراوغ.

يعجبني. . أنه يداري عن نواياه السيئة، و يعجبني عقلي حين يلهمني أن أقترح عليه أن يسجل على الحساب حتى يأتي الذهب من السماء -أنا مؤمن بأن السماء قد تمطر ذهبا ذات يوم، فقط اصعد على قمة جبل وانتظر وأنت تفتح رأسك كعلبة أجبان نتنه- وحين تحصل على الذهب أرجو أن تتذكر أنني أجلس الآن في غرفة صغيرة بمساحة الضيق الذي أشعر به، يحتجزني الحلاق في ستين ريال، مجموع ما يطالبني به منذ عام! من المجموع تلاحظ أنني أرتاد هذا المكان كل شهرين، حتى أخذ جرعة من الكآبة وأحلق شعري.

- جرب المقص، أفضل.

فكرة، في المرة القادمة سأدعك تقص قلمي!

يوماً.. كان هناك متنفس

في ذلك اليوم أخترق القوانين وصنع ثقبا . . جعل الضوء يتسلل حتى يرى المكان، حين تفحص غرفته المجهولة، صعق! مساحة ضيقة، خالية من الحياة، يقال أن محتوياتها : إنسان!

- قطع تفكيره صوت الحارس وهو يصرخ، مطلوب للتحقيق. وذهب . .

لا يملك محامي! يجر قدميه حتى آخر الموت، يطلق أهل السجن هذه المسميات على الطرقات، هنا حياة ولكنها بنكهة اللاحياة، أصطدم بالجدار، وسقط أرضا!

- صرخ الحارس، ألم تحفظ المكان بعد؟ وذهب . .

في الطريق لمح المحقق. . لم يبادره بالتحية، فقط استغرب أنه يرتدي ذات الهيئة لـ السجين.

- أخبره الحارس وهو يصرخ، إنه مصير غريب! وذهب . .

أصدقائي التائهون: ما بكم تحملون الغضب على أوطانكم! مخطئون أنتم، هم يعلمون كيف يخلقون المكان المناسب، مرحبا بكم في المنفى.

- صرخ الحارس وهو يرفع مسدسه، لا تثرثر! وذهب . .

وضع أحلامه على حافة ثرثرة، تناثرت! أسقط أماله في ورقة بيضاء، ضاعت، رفع رأسه نحو السماء، ولكنها أغلقت!

- صرخ الحارس وهو يرفع مسدسه، لا تفكر. وذهب في البعيد!

فتنة النبض

لحظة! يجب على الزمن أن يتوقف الآن، أن يمنح ذاكرتي فرصة أن تهدأ، أن تصمت كل الأفكار في عقلي، وأتقيأ! صدأ يطال كريات الدم والأحلام في جسدي، و خوف مغروس في أعماق طفولتي، مغروس بجوار أبجديات البدايات. خوف الفقد، وخوف الظلام، وخوف المطر، وخوف الجن، وخوف الموت، وخوف الغربة، وخوف الفرح! الخوف الذي أختلط مع كل لقمة تناولتها حواسي، الحواس التي تعجز عن التذوق، فقط تشعر بالحاجة إلى أن تكبر، وتلتهم ما تصل إليه! يحدث أن أفعل مجبرا ما أرفضه، يحدث أن أتبع شهوة رغباتي دون أن أتحكم في خطواتي، يحدث أن أسخط من كل الحياة رغما عن صمت حروفي، يحدث أن أعجز عن طرد الحزن القابع في صدري، يحدث أن أتخيل أنثى وأرقص، يحدث أن أرحل للمنفى، يحدث أن أتوقف فجأة! لا شيء تحت سيطرتي.. طاولتي أوسع من وهم، أوراقي أكثر من نبض، لحظاتي تتحدث على مسمعي، وأجلس على كرسي خشبي، ألاحظني! لعبة الأيام ساذجة، ومراقبة الأوقات الخارجة عن قوانيني معضلة تستحق العقوبة، ولكن.. النتيجة تبدو واضحة: خسارة! الزمن لا يمنح فرصة أخيرة، الزمن يمنح كل فرصة ويجب أن نؤمن أنها قد تكون الفرصة الأخيرة، والنبضة الأخيرة، والكلمة الأخيرة أيضا! لا نملك إلا أن نترقب ما يحدث، نترقب أين

يأخذنا هذا العمر ونتبعه، ونبذر العمر في الطريق الذي قدر لنا أن نسلكه سلفا، وننصاع خاضعين! لحظة أهم.. لا يعنيني ما سبق، فقط أرجوك حتى يكف طفلك عن الصراخ أفتحي صدرك ودعية يرتوي من نهدك، وأنام!

ألف ياء.. الحياة

الساعة الثالثة فجرا، «الباحة» غارقة في نوم عميق، الهدوء نسمة هواء تملأ الفضاء، لاشيء على قيد الحياة إلا قلبي، أكاد أعد نبضاته، يخفق بانتظام.. ورهبة. خطواتي ترسم خطوطا متعرجة على الرصيف.. كسرة رغيف بالقرب من حاوية النفايات، ألمح ورقة صفراء منذ الخريف المنصرم، هناك بقايا لعبة، أتعثر بعلبة سن توب فارغة، أرفعها وأزفر فيها حتى تكبر، ثم أضعها تحت قدمي كي أصب عليها وابل سخطي، أقفز بكل قوتي: بوووم.. وأصرخ: يا ليتني لم أكبر!

انظر يمنة ويسرة، لا أحد. أكمل السير، أتفقد أشيائي، أشعر أنني سأضيع شيئا أو قد أضعت سلفا، أرفع هامتي نحو النوافذ، ما بالها تكتسي السواد، وكأن النوم حداد.

أتخيل أن روحي تزعج إحداهن وتأخذها من نومها، وترمقني وتأتي إلي، وتقاسمني الأنثى هذا الليل الكئيب، ونتهامس / نتضاحك / نتغامز / نتعاتب / نختلف.. أليس الخلاف أمر فطري، ونتواعد أنـ.. ! طاااط طاااط، دورية الشرطة يا اللّه..

- أنت، وش تسوي هنا هاه؟

أبد سلامتك، كنت متضايق شوي، وحبيت أسوي رياضة، تعرف المشي يحرك الدم وينشط الخلايا وتشعر بالحيوية وترتـ..

- بلا كثر فلسفة، هات بطاقتك

والله - يا طويل العمر - أنا أحب أمشي وأكون خفيف، ما عندي غير الجوال.

- طيب وش اسمك؟

أنا ممد امد!

- وش تقول أنت، شكلك خارج الخدمة !؟

لا وش اللي خارج الخدمة، بس لحظة أعلمك، أنا تقدر تقول، مضيع يعنـ

- إيه، مضيع يعني رايح في عالم ثاني.

أنا ملخبط وتعبان، خلني في حالي، واللي يرحم والديك.

- اسمع: هذي آخر مره أشوفك فيها، بأخذ اللفة وأرجع والله لو لقيتك هنا ما تنام إلا في الحجز، فاااااهم.

طيب ابشر، الله يسلمك / حسبي الله عليك، وبعدين أنا غبي، اسمي ممد امد!

أدفع الباب فيصدر صوتا كالشخير، بدأت أشعر بدوار في رأسي، يشتد الألم.. أبحث عن بقايا دوائي لا شيء. آه يا رأسي، أفتح جوالي المغلق- منذ غيابها - أبحث عن رقم الدكتور: أيهم، الدكتور.. الدكتور، أوووف.. مفروض أحطه أول اسم عشان إذا بغيتـــ.. أيه اتصال، الو

- آهلين

أنا بجيك الحين ضروري.

- خير شو صاير!

محتاج أشوفك..

- خلاص ناطرك تعا ع العيادة ما تتأخر.

لم يمضي وقت طويل كي أكون عند بوابة العمارة التي تقطن

بداخلها العيادة، شعرت لحظتها أن بإمكاني الوصول إلى العيادة مغمض العينين لكثرة ما أتكرر عليها، طرقت الباب وتلعثمت في السلام.

- وعليكمـ. . ليه كدا مبهدل؟

أسمع أبغى مسكن أول شيء. وأتمدد على الكرسي بني اللون، درجة التكييف تتجه للبرودة. . تك تك. . يغلق الباب.

أتنفس بعمق. . وأهمس: تصدق وأنـا أمـشـ. .

- بدك ترتاح وما تحكي.

الألم بدأ يتضاءل ودوامة من الأفكار تحوم في رأسي، من أين أبدأ! هدوء المكان يساعد على الاسترخا ويثير التوتر في أعماقي، أركز بصري في نقطة بياض كأنها نجمة في سقف الغرفة الأزرق وأسحب الهواء في أربع دفعات وأكتم الهواء بداخلي حتى أصل إلى رقم ستة وأخرجه في أربع دفعات أيضا، وأجرب العد التنازلي من مئة وأردد في نفسي: أسترخي الآن، أشعر بالراحة والانسجام كما يقول الدكتور أيهم ولا أشعر، نسمة من طمأنينة تسري دون أن أستطيع الجزم بأني أدرك ما يحدث، تناغم في نبضي يتفاوت كلما حاولت التركيز، برودة أطرافي يرافقها سكون في جسدي مع تنمل خفيف في جبيني، ثقل في عضلات العينين وحالما أبتلع لعابي أكاد أحس بوخز الوجع في حلقي، وأتجمد!

أفتح إحدى عيني بتثاقل هامسا: آسف يا دكتور

- لا تشيل هم. . طمني كيف بتحس حالك؟

واللّه يا دكتور مدري. . فيه كلام كثير. . وإذا جيت بتكلم أنساه. . !

- شو اللي ضاع منك و تدور عليه؟

أجيب: ممكن أكتب.

- تفضل.

«حرف الحاء، أنا الآن أفتقد هويتي. . عنواني ونفسي، نصفي. .

إنني أتبعثر، محمد بربك يكون - ممد - ماذا يعني هذا الشيء، وحلقة الوصل بالحياة إنه أبي حامد، ونبض الحياة الحب، والحرف.. ألست من يتنفس الكتابة، والحلم الأمل المشرق. كأنها أصابع يدي الخمس وأفتقد مصافحة الحياة، [ممد/ امد /ب /رف /لم] رموز لا تعني شيئا.»

تصدق يا دكتور، اسمها يبدأ بالحرف الثاني عشر في الأبجدية، و اسمي بالحرف الرابع والعشرين، لاحظ أنها نصفي.

- طيب وحرف الحاء؟

هو السادس، كنت أداعبها دائما وأقول: أنا ملك المغرب: محمد السادس!

- فيه حل أبداعي، حرف الـ H، ممكن يحل المشكلة؟

مستحيل، يصير اسمي مـ Hـمد.

- نوع من التغير، وبعد فترة يصير نوع من الدمج بين اللغتين، والانفتاح على العالم، جرب، والحياة لعبة وكلنا أطفال.. ألعب ألعب..

خلاص بلعب، اسمي مـHـمد Hـامد. إلى أن تعود!

نحن الفقراء...خطيئة!

هذا المجتمع المتمدن النابض بالرقي والجشع يرهقه وجودنا نحن الفقراء، يجب أن ينتهي الفقر أو ننفى من الأرض أو تقطع أحلامنا.

هذا المجتمع الغارق في الكماليات، لا يقدر على التوقف لحظة واحدة للتفكير في أمنيات الفقراء، أمعقول أن يجلس العالم على ركبتيه ويستجدي السماء أن تمطر فرحا من أجل طفل ينام بحزن بجوار سلة النفايات؟ العالم مشغول جدا!

نحن الفقراء إلى كسرة فرح تطرق أبوابنا في ثلث الليل الأخير لم نعد ننتظر الزائرين، لم نعد ننتظر الزائرين- بشكل أدق - من الأحياء!

طرقات الخيبة على نوافذنا مرهقة.. ليلة البارحة اقترحت جدتي أن ننفتح حتى نبدو ثقوبا، في صباح اليوم كانت الفاجعة، بداخلنا استوطن النمل والذرّ وبعض الرماد، ولافته كبيرة على جباهنا تقول: مستنقعات خراب.

نحن الفقراء إلى تحقيق الأحلام أقوياء! جامدين حد الموت، تجاوزنا منذ خيبتين سابقتين كل المشاعر، التجاوز الخاطئ لا يقتل دائما، أحيانا يجعلك تصل بسرعة، هذه المرة أنا وصلت بشكل أسرع إلى حقيقة صغيرة: الفقر قيد في سجن الحياة.

نحن الفقراء يجمعنا فصيلة واحدة: الحزن! أجزم أن الدم الذي يجري بداخلنا يحمل في صفاته الحرمان، ونقدر على توارثه هم بعد

هم، المثير للحنق أنه يتطور، فأنا أكثر حرمانا من أبي، أكثر منه بمراحل، يكفي أنه قدر أن يهبني الفرح، وحتى الآن أذيقه الخيبة.

«رشفة من فرح، تكفي ظمأ روح منكسرة، وغيمة من سعادة تشفي تخمة روح لا تحس!» هذا الجملة غبية بصدق، لأنها غارقة في التعقيد، يجب أن نكتب بكل بساطة، يجب أن نعي ما تقوله الحياة، حين تفتح كتابها عند الغروب، وتحكي لنا قصة القدر، يومها نغفو دون كوابيس!

أعتذر عن كلمة (نحن) في العنوان، فيبدو أن لكل منا فقر يخصه. أنا وفقري خطيئة! الآن تغفر تجاوزي أو لا تغفر لا يهم، فلست المذنب الوحيد!

أثر خطوات على السقف

[يقفز.. يسقط على الأرض وتتسخ ملابسة، يسخر منه أقرانه فيصنع ابتسامة تخفي غضبا بالداخل، يكررها ثانية. واحد ثلاثة أربعة ويقفز.. يسقط على الأرض، يتسخ أكثر، يقهقه أقرانه وأصدقائه فرحا، يصمت ويلعنهم، يكررها ثالثة. واحد ثلاثة أربعة ويقفز.. يسقط على وجهه، تنكسر سنته، يتناثر الدم على ملابسه، يهرب الجميع، يصرخ بأعلى صوته، يسمع الصدى يرد عليه بكلمة: تستاهل]

يغلق قلمه، يحمل الدفتر نحو معلمه ويطرق الباب بخجل، يتقدم نحو الطاولة الفارغةواضعا قصته مشحونة بكل سخطه.. ويمضي. يصطدم بالمدير عند الباب، يصعقه يتهمه التلصص على أسرار المعلمين! يجلده ولا يشفي غليله، يأخذه حتى يشهر به أمام التلاميذ. يقذف ملفه الأخضر على الأرض مع قرار يفصل لمدة أسبوع! يجبر على كبت ثورته، يأخذ حقيبته ويرحل. واحد ثلاثة أربعة ويقفز.. فتتطاير أوراقه، ينفجر قهرا ويبحث عن مخلوق يصب غضبه فوق رأسه، ولا يجد سوى نفسه ليسحقها. واحد ثلاثة أربعة ويقفز من فوق سور البيت متسللا نحو أمه، وحين تلمحه تلعنه لأنها تعلم أن عودته تحمل مصيبة، وتضربه أكثر.

واحد ثلاثة أربعة.. يهرب!

مغلفٌ يحوي روحي

لحظة أولى.. أبجديتي قاصرة.. الحروف المبعثرة أمامي تشعر بالخجل، تعلم أن الكتابة إليك شرف يستحق التقدم وتخشى أن تكون أقصر من كيانك، هي تعلم ما يعني أن ينبض إنسان في الكلمات، وتفهم جيدا كيف تكون فاتنة وجذابة لأنها تخصك.

لحظة ثانية.. أنا أتلعثم - حبيبتي - في وجودك، تقفز إلى رأسي احتمالات جميلة، إما أن أقبلك حتى أرتوي منك، أو أن أضمك على صدري للحد الذي يجعلك تغرقي في قلبي، وإما أن أتحسس ملامحك بهدوء كما نعانق وردة.

لحظة لاحقة.. وأنت في عالمك النابض بي، وأشيائك تصلي بسكينة، وأنا أرقص أمام عينيك باتزان، انتبهي لنظرة الجمادات، تلمحين أرواحا صغيرة كقطرات مطر تقترب منك، تتجه نحوك لتحظى بكرامة، أتعلمين كم هي محظوظة تفاصيلك بك؟

توقف! اجزم أنني عجزت عن وصفك في ١٣٨ كلمة سبقت؛ امنحيني فرصة العودة، والكتابة من جديد.. أراقب نبضي وهو يتلو اسمك وأجده يترنم بك، وحين ينصت العالم المشغول[برهة] يعي حكاية الاتصال، يفهم أن الإنسان/ أنا.. أحيا منك، وأمضي نحوك، أرتب خطواتي بتناسق يليق بلقائك، أتهندم وأزيح وجع السنين، وألقي بالهم الذي سكنني قبل أن تأتي، وأكفر بالحزن القابع منذ القدم في

أوردتي، انفضني بشدة، أبدو شيئا جديدا. مؤخرا لم يعد يعنيني أنني بت الرجل المختلف عن السابق، استيقظت على حقيقة أعيشها كل نبضة، تقول: أنك بداخلي.

حرفي يا- أنثاي- يثبت ذلك، يقر نيابة عني وبرغبتي أنني تحولت من شيء بالي ملقى على رصيف الحياة، منفي خارج دائرة الحاضر، معدوم التأثير.. إلى الأكثر إشعاعا، إلى حالة توهج مضيئة، إلى شيء ثمين، شيء يستحق أن يثير انتباه الجميع لأنك تسكنين أعماقه.

حبيبتي، كنت قد قررت أن أتخلى عن الكتابة لأني أريد أن أكون معك وحدك، أو أن أكتب في أفضل الأحوال لك وحدك، ويصلك فقط، ولكن أنا مرن جدا، أنا أستطيع أن أكتب المزيد والأجمل لسبب بسيط، أنني أتنفس الحروف من جنة صدرك.

أنا أخلق الحرف.. هذا اللقب يعود إليك، أنت من وهبتني هذا الشرف، أدين لك بكل ما أنجزته، وأعترف أنني تعلمت على يديك أبجدية الفرح والسعادة والعوالم المذهلة، بك أنت وحدك علمت أن الحب لفظ صغير، كلمة عاجزة لن تقول كل الجنون الذي نشعر به، آسف أشعر به وحدي.

لا أحد يتشابه! لا أحد يعيش الحكاية ذاتها، لكل منا قصة مختلفة، من السذاجة أن نضع الآخرين في دائرة فلسفتنا للأمور، هي عوالم ثنائية مختلفة، دعيني أسهب أكثر.. حبيبتي في الحياة هناك اختيار واحد صحيح، اختيار يجعلنا نتكامل بشكل لائق، نادرا ما يحدث، نادرا ما يحدث الاختيار الصحيح، ولكن حين يحدث ننتبه كم هو جميل انتظار اللقاء، وكم هو مؤلم أن نستسلم للوهم ولو لحظة، الوهم دوما يحاول أن يجعلنا نتكامل مع أية طرف، وتبدأ رحلة من الفوضى، ربما هي حكمة الحياة أن تكون في الأنظمة فوضى منمقة وتتداخل!

تنتظرين الآن متى تنقضي اللحظة وأنا في حالة توتر، أحاول أن

أقول كل ما بداخلي، وأعلم أن اختصار ذلك يكون في أن تضعي أناملك على صدري، أجزم أن يبللها الندى، أرواحنا من ماء، ونبضها مطر، وعطائها ورد، عانقيني بقوة، دعيني أخضر أكثر، ويفوح طهرك فيني، ويتنفسني العالم، العالم الكبير المختزل في ذاتك وحدك، وحدك من أشعر بها، وأجدها، وأعلم يقيننا أنها مني، وأتجاهل كل شيء آخر، بالمناسبة لا أعير اهتماما لكل ما يعبرني من بعيد، لذلك أبدو بليدا، في الوقت الذي أتيقن أنني أقف في المنتصف، عند مركز الحياة، بالضبط عند نبضك فيني. حبيبتي. . أكثر من الحب أحبك.

تم تسجيل الخروج بنجاح

طالما شعرت أنك شيء مزعج، كرائحة احتراق قطعة بلاستيكية، كنت دائما دخان اختناق يرهقني وأنا المصاب بالحساسية، دعنا نتفق على أن نتخلص من بعضنا، أن تتركني أرحل، وأنا أدع لك الماضي والذكريات واللحظات الجميلة، سأمنحك ما سبق من العمر، فقط امنحي القادم من الأيام، أرغب في فرح يسكن قلبي وينبت السعادة على ضفاف ملامحي، سأكون بخير، أعدك. ولكن أرجوك أعتقني من كل هذه الأشياء.

نحو الغياب أمضي بخطوات ثابتة، حنين يعيدني ولا أقوى على مواجهته، مللت من التفاصيل الصغيرة المتناثرة في كل صوت أسمعه، من كل الحكايات التي يتوهم البعض أنها منا وهي عنهم، والحكايات التي تكبر كغيمة ولا تمطر، و الحكايات التي تبتر قبل أن تتخلق كاملة، من كل الأشياء الناقصة والمواعيد المؤجلة والأمنيات المعلقة في لوح القدر ولم يحن قطافها بعد.

رائحة المقاهي لم تعد تغريني، وثرثرة الفجر بح صوتها، أغلقت النافذة بإحكام على أرواح متكدسة في علبة صغيرة، أتوقف عن لعبة الموت، أدع الكلمات تكبر في عوالم بعيدة عني، أنا لست موجودا أصلا.. أنا كذبة حاول الجميع تصديقها فقط!

- مني إلى المنهك بالكتابة.

صالة الانتحار!

في البدء أقدم لك نصيحة: قد يكون لديك شيء أهم من قراءة حروفي!

لذلك أرجو أن تغمض عينيك وتحاول أن تتذكر - الآن أنت تغمض عينيك وتتذكر بالتأكيد - الآن ربما قررت أن تغلق الكتاب وتذهب، أحسنت.

لأنك لست هنا ولا أحد هنا و لأن الجميع حتما لديهم أشياء أكثر أهمية من تمضية الوقت في تتبع خطوات أفكاري، لذلك دعني أحدث ذاتي كما أحب.

ليلة البارحة كادت طائرتي أن تضيع في دوامة الغبار، أعترف أنني شعرت بالخوف، ودونت الكثير من الكلمات التي أطلب فيها العفو والتسامح، وأضفت أيضا قائمة بالديون، وكتبت بعض أحلامي ثم أضفت أن: أحلى شيء في حياتي.. حياتي!

كنت قادرا في تلك اللحظة على مساعدة العجوز التي تجلس بجواري، بل فعلت حين قدمت لها ورقة وقلم وقلت: من الجميل أن تختاري آخر كلمة تكتب في حياتك! ولكنها تجاهلتني وواصلت التمتمة ببعض الدعاء، ولكن الغريب في الأمر أن الجالسة بجوارها- وهي على ما يبدو ابنتها- كانت تبتسم!

تبتسم بنوع من السخرية وقد أثارتني علاوة على خوفي، إن أكثر ما يزعجني هو أن تشفق إحداهن على شخصي الكريم، لا أفهم سبب

رفضي لعطفهن ولكنه دائما يأتي في صورة التفضل، وأنا- كما أخبرتك سابقا أو أخبرك الآن - أكره أن أتسول الشفقة من أحد!

فجأة خفت القلق وبدأت أتحلى بالشجاعة، فتحت النافذة وقلت بصوت مرتفع: نحن نهبط بسلام، اطمئني أيتها العجوز، فالحياة تمنحك المزيد من الأوراق أتمنى أن تكون جميلة، أما الجالسة بجوارك.. ولم أكمل! أعلم أن أكثر ما يزعجنا نحن البشر هو ألا نعلم! وانتقاما من سخريتها تظاهرت أنني أريد أن أقول شيئا ثم تراجعت، بعدها شعرت بالفرح وقلت بداخلي: انتصرت.

اقتلعت جسدي من المقعد وذهبت سريعا.. لا أريد أن أدع فرصة لأحدهم حتى يرد الصفعة، إنه الهروب بالنصر، والهروب أيضا من هذه الطائرة وملامسة الأرض أمر رائع بعد هذه الرحلة المرهقة!

أحاول أن أتذكر بقية التفاصيل الآن، وهل صعدت الحافلة، أم ركبت سيارة الأجرة، حقا لم أتذكر! لا يهم ماذا حدث بعد ذلك، لا يهم هذه محاولة لتفادي الضغط على الذاكرة، إذ أن تجاربي الشخصية أثبتت أن كل شيء تحت وطأة الضغط يتشوه.

- صديقي العنيد: أمازلت هنا!

يبدو أنك تتخيل أنه من الممكن أن تنشأ بيننا صداقة وهذا أمر مستحيل، دعني أخبرك السبب؛ العلاقات تتخذ تصنيفين: الطبيعي هو أن ألتقي بك في أية زمان/ مكان ونشعر بألفة باتجاه بعضنا وتبدأ علاقة تلد بيننا، وبعدها نتبادل الأرقام وفي حالة متقدمة سوف نلتقي في وقت متأخر في مقهى المدينة ونتحدث كثيرا ونختلف ثم تنتهي علاقتنا.

الغير طبيعي أن ألتقيك في المقهى وأنت تجلس وحدك، فيدفعني فضولي للحديث معك ونتفق كثيرا، ثم نكون صديقين مقربين جدا وحين أبحث عنك ذات وحدة لا أجدك، حينها تكون قد وجدت صديقك الطبيعي الذي ستلتقيه في المقهى لا حقا وتختلفون وتفترقون!

لذلك يا صديقي أعفيك ونفسي من أية علاقة. ولكن لا أعفيك من خطيئتك! أنت شتت أفكاري بمحاولتي شرح العلاقات حسب رؤيتي، أتريد أن أخبرك شيئا أكثر أهمية؟ أعلم أنك تريد، ولن انتظرك حتى تصرخ بأن أكمل، احتفظ بصوتك فأنت بحاجته حين تصادف صديقتي الحمقاء التي أخبرتك عنها في الطائرة أرجوك اشتمها.

يقول المثل الفرنسي: لا تجمع البيض في سلة واحدة، ولأننا نحن العرب نرغب في إضافة بصمتنا على كل الثقافات، ولأنني أرغب في الإسهام في هذا المشروع العربي الكبير، أضيف فلسفتي، وأقول: لا تجمع حبك في قلب أنثى واحدة! تأمل العبارة جيدا، أنا أدعوك إلى المزيد من الخيارات في الحياة، وحتى تقتنع سوف أخبرك بقول آينشتاين: الذي يقوم بالتجربة يؤثر عليها. وعليه فأن الحب تجربة وأنت تؤثر عليه بالتركيز! تذكر كلمة التركيز دائما. إنها مثل العدسة التي تجمع الأشعة حتى نحرق الورقة، أفهمت الآن؟ إن تركيزك على قلب واحد سوف يقضي عليه بالتأكيد، وأعلم أنك لا تريد ذلك، وهذا ما جلعني أقدم لك هذه الفكرة الرائعة، لا تقدم لي الثناء الآن ولا حتى لا حقا، فلم أكن صديقك منذ البداية. أنت الآن تبحث عن أقرب قلب يمكنك أن تضعه خيارك الثاني، لا تتوقف حتى تحصل على الكثير من الخيارات، وتعلم أن تمنح روحك الكثير من الفرص والأبواب والنوافذ، لا تكن منغلقا أرجوك، كن مشعا وتناثر كحبات المطر، صدقني أو جرب أولا ثم صدقني أن الأرض سوف تحتفي بك، وتحتويك بهدوء.

أعتذر أنا مضطر للتوقف.. ألا تسمع؟

«على السادة المسافرين على الرحلة رقم ١٧٠١ التوجه إلى البوابة المغلقة استعدادا للغياب».

- بجواري الآن سيدة عجوز ويبدو أن الجالسة بجوارها هي ابنتها.

يعريني الشتاء!

أنا مجوف وعاطل.. نحلة تود أن تغويني وأكون خلية، وتعجز أمام ضآلة حجمي، تقف النملة على جسدي وتضرب بقوة وأتهشم- تبتسم النملة لأنها أقوى من صلابتي- وأتذكر الرجل الذي تنفس حزنه من خلالي.. ثم كسرني!

مل من صوتي المتكرر، أمسك بطرفي وهوا بي على ركبته حتى انقسمت إلى جزئيين متلعثمين، تركني في علية خربة ورحل. أحالني إلى التقاعد دونما إكرامية نهاية خدمة، تناسى أن إصابة العمل تحيلني إلى مادة غير صالحة للاستخدام، شيء بال تنهشني العثة كمعطف صوف قديم.. وأتلاشى!

مؤلم أن تحضر في الحياة على هيئة ناي، مؤلم جدا أن يحيلني خيالي إلى ناي في اللحظة التي أكون فيها عارٍ تماما!

أحلامي الملونة حسب قمصاني المتعددة.. تجلس على حبل غسيل انشغلت ربة المنزل عنها في موسم المطر والبلل، تسير في أوردتي قطع ثلج بحجم كبسولات المضادات الحيوية، ولساني مصيدة معطوبة بين شفتين مشدودتين، ومفاصلي تبعث أزيزا كأنك تفتح بابا حديديا صدئا ومتهالكا، وشعري يتساقط كأن ثعلبة حلت به فجأة، وجسدي قطار كان يسير بفعل احتراقي في أعماقي، وأبدو منسلخا تماما حتى من جلدي!

لا أملك إلا أن استسلم للشتاء وأجلس القرفصاء بين يديه- ولبؤس الشتاء أنه يخرج دخانه من ثقوبي- وأصاب بموجة سعال حادة تشبه صوت الهواء حين يخترق النوافذ، وأموت!

أغنية الريفّ العتيقة

أشرقن امشمس! أستيقظ بالمزاج المعتاد، اسمع قائمة الأوامر. غسل ويهك عن امنوم يفلح.. يعقبها؛ افطر لا ياخذك امصفار، أخرج صافعا الباب المهترئ.. ويتبعني صوت: أحفظ فسحتك لا تقعد طاوو، أجر نفسي على وجهها حتى أرتطم بالطابور! أرفع أحلامي.. فتتساقط واقعا: أنت في المدرسة! أترقب نداء الفسحة بينما أنحت وجعي على الطاولة، أقفز إلى الحافلة عند انتهاء الدوام، أتنفس الفرار، أصافح الباب المهترئ- ثانية - وأدخل، دون أن أغسل يدي أبتلع أول لقمة من الغداء، أتذوق فيها ماء الصباح وجرس الحصة وبقايا الطبشور وضربة المعلم وغبينة الشجار.. آه يا راسي! وينتبه: ذاكر ذلحين، وبتلحق على املعب! أتسلل عبر النافذة بعد أن أبعثر حقيبتي حتى أبدو مجتهدا-خارج أسوار المعقول هي فترات اللعب- نغرق في اللحظة، ينتظرني كقدر عند الباب وهو يخرج لصلاة المغرب، أتسلل بجواره ويتظاهر كعادته بعدم انتباهه-أظنه يستمتع بتمردي- نتحول إلى روحانيين ونحن نرتشف القهوة بسكينة! حتى يقاطع سكينتنا صوت يقول: لا تكب امفيال وأنت تصب، ويضرب أوتار الشجن في قلوبنا ونحن نتجه نحو أحلامنا بينما ننام في أحضان بيوت الطين الصغيرة ونلتحف وحدتنا!

ضد معلوم

يحدث أن ترتكب كل الأشياء بطريقة جميلة؛ إلا الموت!

كانت هذه أخر جملة وضعتها في ملف القضية التي تخص المدعو: أنا!

حين كتبت عن نفسي وجعلت من شخصيتي محور حكاية لا تشبه بالتأكيد الحقيقة، كان من البديهي أن يفسر هذا الفعل رغبتي في تجربة حياة مختلفة من خلال حرف أتخيله وأدونه، أعتقدت أن بمقدوري تقديم سيناريو مختلف في كل مرة حتى أبرهن أن أكثر ما يبعث على الفرح هي الأشياء التي لا تتكرر! المُزعج بالتأكيد أن يتم محاكمتي بدليل وحيد وهو التضليل! وفي تفاصيل الإدانة التي أطلعت عليها لاحقا وجدتني أمام تهمة وحيدة تتلخص في أنني مجرم! أنا بالمناسبة لا أدرك تماما كيف يمكن التعامل مع كل هذه الفوضى.. فالفكرة تموت حين تقال، والحكايات تسجن لحظة أن تحفظ، والكلام يفقد لذته إذا سلبنا صوته، والحياة تضج بالجرائم ولا أحد يعترف بأنه مذنب! لذلك أنا مجرم لا يعلم كيف يمكن تصنيف جريمته، ولكنها ليست بشعة بالتأكيد! كل ما في الأمر أن الأفواه المعدّة لتدوير الحكايات وصفتني بالرجل القضية، وفي مرحلة متقدمة كان يأتي مع الحديث عني ذكر الموت وكأننا نشبه بعضنا! حماقتي جعلتني أعيش في دائرة وصفهم لي والبحث عما يثبت أنني شغوف بالحياة رغما عن يدي اليمنى المتصلبة

بإنتصاب يشكل زاوية ٩٠ درجة مع جسدي وإبهامي المرتفع نحو السماء وسبابتي الممتدة لأمام وأصابعي الثلاث المضمومة داخل يدي، وصوتي المستمر في الصرخ: طخ! طخ! كل ما يحدث كان بتدبريهم، بعض لغطهم كا يصلني حتى أقسمت سيدة أنها لمحت رصاصة تخرج من سبابتي، وأضاف -وكالة أنباء الحي- أنه كان يلمحني أصيد العصافير وأقتل وحوش الأرض، وسرت التهمة حتى بدت وكأنها حقيقة، في الحقيقة المغيبة تماما أنا رجل الحياة فقط.

الآن شيء يرتفع نحو رأسي، ويسمع الآخرون: طخ!

تدوير السكون

دونما ضجة قد تحرك هذا الصمت الرتيب الذي يغلف ذكرياتي، فقط بهدوء أتسلل على رأس فكرة داهمتني الآن، أسير خلفها حتى أكون في المكان المتجمد من عقلي وأجدها هناك حيث تضع ذاتها كتمثال! أعبرها نحو الصورة المرتعدة للماضي الجميل/ القبيح، أجد آخر لحظة من حكاية اللقاء/ الميلاد، ملامح حلم كان يحلق ولكن القدر قيده، صوتك يا رياح الحنين يتقاطع معي في نقطة غربة، قصة قصيرة عميقة ترتدي لونا أبيضا، ضجيج أنفاسي في المنعطف الأخير، رائحة الطين خضبت كفي.. ولم تنبت أصابعي على هيئة الورد!

على امتداد السقوط بقايا.. أبذل أملا أن أقدر على أخذ شيء منها، يصفعني الفشل بقسوة، يرتعد السلام الذي نشأ في أعماقي ولا أقدر على معانقته، أعاقبه بالمزيد من التمرد، يتجرد ويدعني وحدي، أكابر على غيابه وأبعث ابتسامة كتلك المفتعلة حين تداهمنا الحياة، وتهمس: صورة جماعية!

قلم الرصاص عاجز عن التلوين، وهكذا هي الملامح التي تتشكل في فراغات هذه اللوحة تختزل كل معاني الشحوب، ولا أتوقف.. أبدو على حافة الرحيل وأستمر في محاولة تخليد آخر رشفة من ماء روحي.

على رصيف الغربة أتسكع

خطوة أولى: تلفظنا الأوطان إلى شوارع التيه، نلتقي غرباء بملامح منهكة، نفترش أوجاعنا ونثرثر عن أحلام مصيرها أن تبقى مخبئة في ذاكرة الزمن! تفاصيل.. لم أفهم يوما سبب هذا الاختيار، لم أدرك هذا العالم الافتراضي، فقط كنت مستعدا لخوض التجربة حد الغرق. يمنحك الانترنت حرية اختيار الاسم، أية قناع تعتقد أنه يناسبك تجده، بالنسبة لي كانت هذه نعمة عظيمة- إنه عالم مختلف- هكذا حدثت نفسي. القرارات التي نتخذها حالة النشوة تكون دونما تفكير هي أقرب إلى الحقيقة، إنها ما يمليه علينا عقلنا الباطن حين نمنحه زمام القيادة. حينها قدم اقتراحه بأن القناع المناسب هو: غريب أنا.. هذا Nick name شهد ميلاد كاتب، لا أعلم أيهما يرتدي الآخر، أشعر أن هذا الميلاد هو توأم تأخر في الوصول! حين يقول ماسلو: أن فقدان الحب يشعرنا بالغربة؛ كان يصف حالتي، يدين لي ماسلو باكتشاف المستوى الثالث من هرم الحاجات! وأمارس تجربة جديدة من خلال شخصية أعشقها ولا أعرفها، أتذكر أنها كانت الساعة الثالثة صباحا حين بدأت بالكتابة في فضاء المنتديات، حينها سرت في جسدي قشعريرة، وأدركت حينها عظمة المواجهة- أعظم شيء نقدمه بعد الحب هو الحرية- تركت توأمي بلا قالب، أتلذذ به حين يكتبني، أتنفس بهدوء وأنا أرقبه يعيد صياغتي بالطريقة التي أتمنى، فيقول: أنا

شاب ريفي حتى النخاع. . لا تتعدى ثقافتي الأشياء التي أتعايش معها، بيت الطين، مزرعة أبي، ثلاثة أصدقاء نختلف كثيرا ولكن لا مفر من الصلح، كانت حاجتنا لإنسان يقاسمنا اللعب هي قمة ما يحرضنا على أن نكون معا نعيش من أجل البقاء فقط! السور الذي يحيط بقريتي يقيدنا، حتى خيالنا لا يتعدى هذا الحاجز، يقال أن تخطي الحدود يعرضنا للموت! أنا أكره الموت، أعرفه حين أغتال صديقي ونحن نقف على حافة الطريق! الشيء المختلف في الريف هو الغرق في تفاصيل الطبيعة حتى الارتواء. . الارتواء الذي يجعلك تفكر: كيف تلد الكثير من الأشياء في حياتنا دون توقيت محدد! لا أحد يعرف اللحظة التي بدأت معه فيها الغربة مثلا. . أحداث بحجم نقطة تحول في حياتنا ونعجز عن معرفة لحظة ميلادها! ونتجرع الخيبة حين نكتشف أننا نمارس ما يفرض وليس ما نرغب به! الخيارات الغامضة خبيثة. . كيف نجدها وهي مختبئة!؟ يا اللّه، لا نملك إلا التسليم.

أكاد أن أختنق، قاتلة هي الوحدة! بقيت زمنا طويلا انتظر صديقي، حين وصل جردني لأنه ينبع من أعماقي، لأنه يظهر ما أخفيته عمرا، لأنه يؤمن بحكمة الجد العجوز حين قال: أحجب روحي عن رؤية الوجود، أسدل هذا الستار على العيون. . وأغرق، أغوص في أعماق ذاتي من مسامات الدخول إلى فضاءات الورود، وأحمل الحب قنديلا يضيء متاهات الدروب، هنا نقوش الذاكرة على تجاعيد السطور، هنا أخاديد الألم بالقرب من سجلات الحضور، هاتيك ملامح إنشطارات التضاد حتى تشكلت تضاريس بياض وسواد، إن اكتشاف عوالم تندس في أعماقنا هي ثورة صرخت بكل العنفوان: الآن حل المغترب وبات ينسج معالم الإنسان، يفك شفرة كنزنا المندس فينا على مر العصور!

قائمة المفقودين: ١، ٢، ٣، ٤، ٥...

فتحت نافذة في السماء، وسرقته!

تقول عجوز في القرية: أنها استيقظت قبل أن يرحل الليل، كعادتها تحلم بأن يأخذها الظلام في غيابه، وكعادتها خرجت حتى فناء البيت الطيني، ولمحت شيئا يطير نحو الأعلى وكأنه شهاب صاعد من الأرض. علق معتوه يومها بقولة: أحد الملائكة كان يزور شيخنا المريض! العرافة قالت رأيها بوقار: إنه جان يسكن غيمة!

في زاوية ورقة صغيرة كتب الضابط المناوب: اختطاف طفل في ظروف غريبة.

بعد سبعة عشرة سنة، كنت أجلس في مكتبي، أدون ملاحظاتي حول قضية اختطاف حدثت في مدينة الرياض، كانت والدة المختطف تبكي وتهذي: تكفى يا وليدي مالي غيره.. خذاه مني .. كان عند الباب وسرقه في لمح البصر.. صحت عليه ولا وقف، كنت اسمع وليدي وهو يصيح.. يا ويل حالي! حينها فقط استعدت حادثة القرية:

[تذكرتها وهي تستيقظ عند الفجر وتصرخ: وينه، هنيه رقد وين راح؟

وقتها كنت أصغر من إدراك ما يحدث، تجمدت في زاوية واكتفيت بالمراقبة، عجوز في القرية أعادت كلامها مرة أخرى، المعتوه أعاد ذات الجملة وتمتم بكلام غير مسموعه، العرافة فقط همست:

بسم اللّه على قلبي.] عدت من الماضي، سحبت الجوال، واخترت الاتصال بزوجتي. فتحت الخط قالت:

- هلا

- خلاص ما أبغى طفل.

- ليه؟

- أخاف يضيع!

- أنت فيك شيء؟

- لا، بس الحلم أجمل من فقد ما تملك.

قفص صدري.. خشبي

لدي أشياء لا أجيدها، أعجز عن تعلم الكتابة مثلا، واستخدام المسبحة بشكل أنيق، والحديث في وجود أكثر من شخصين، والأكل مع أناس لا أعرفهم، والسفر في النهار، ومتابعة أفلام الرعب، وتقبل صداقة الطبقة المخملية، وتجنب السخرية من كل ما يحدث، وغسل يدي بعد الغداء دون أخذ قيلولة صغيرة، ونسيان تفاصيل الخديعة، ومغادرة مكان اللقاء الأول دون أن تخنقني الغصة، وتبرير خطيئتي التي استمتعت بها، وتدوين كل الحكايات التي تعنيني دون حذر من عواقب التفسير القاصر.

(منفضة السجائر مكتظة بالاحتراق، أرواح تعجز عن التنفس بطريقة منمقة، تنجذب إلى التسلط على لفافة صغيرة وقتلها، أرواح تتهجم على كل ما هو أصغر منها، وتفتك بالوجود.)

وأشياء أجيدها. المكوث في الزوايا وحيدا، توزيع رسائل العشاق على صناديق بريدهم بعد أن انظر ما بداخلها، تصفح خصوصية الآخرين، السطو على أسرار المقربين، التعاطف مع المغتربين، تجاهل رسائل المعجبات، إتقان مهارة البلادة، والرحيل.

(تذوب الشمعة في راحة كفي، تسير القطرات في الشقوق، تتشكل تحفة على هيئة تجاعيد الملامح، تنكسر عند أول مصافحة من كف يكتنز أشواقا ساخنة.)

أجد العذر لمن يكرهني، وأعجز عن فهم الذين يجازفون ويعترفون بحبي! أشعر أنهم يرتكبون حماقة في حق أحاسيسهم، غباء أن تحب في الوقت الذي ترفض أنت فيه فكرة أن تتقبل شخصك! مفارقات عجيبة، تدرك أن الأمور تأتي عكس ما تريد، تذكرني بانتكاسة الوجع، والحاجة إلى قطرات تأتي من علبة لا تسكب مائها حتى تقلب على رأسها، وتراقب الحزن كيف ينساب كالمطر ويتسلل حتى وريدك، ولا أنت تعافيت، ولا القطرات تجف!

(تتداخل الأسماء في قائمة الاتصال، وتجد أن الذي تريد أن تحدثه يحدث غيرك، وغيرك يريد أن يتحدث إليك، وخارج التواصل طفلة تعبث بأقلام التلوين كي تنسى أن لا أحد يهتم لحاجتها.)

أنا كنت عربة في قطار معطل، كيف تحولت إلى شجرة؟ وبدت الحياة تكسر أطرافي بفأس الحرمان، وأكون قطع حطب مهيأة لجلسة سمر في ربوة يجلس عليها رجل مسن يرتعد من الحظ العاثر ويستحيل عليه أن يحصل على عود ثقاب!

(يقدم كلمة صغيرة ويستحث شيمتي على غفران صمته الطويل، الكلمة الصغيرة لا تروي ظمأ وحدتي، ولكن شيمتي تجعلني أغفر وأتقبل القليل وأحتفل به.)

تبرز أصابع أقدامي خارج حدود شاشة Laptops، وكأنها تمردت على هدوء اللوحة، الغريب أن الأصابع المتشعبة على الجانبين ترقص، وأتساءل: إلى أي جذع تعود هذه الفروع؟

(وأنسى أنني كنت شجرة!)

صلاة الغائب

على حافة الطريق تتشابك أيدينا بقوة.. لم نكبر بعد بالقدر الذي يجعلنا نحترم النظام، يحاول صديقي أن يفلت من قبضتي ويصل إلى المدرسة/ المقبرة ويحقق انتصاره الأول ونتعادل- كان أمس السبت هو ميلاد مشوار التعليم -وأنا وصديقي تواعدنا أن نبقى معا حتى آخر لحظة.

على حافة الطريق بالأمس أفلت من قبضة صديقي وتجاوزت الطريق.. وصرخت: ثبقتك، اليوم الأحد سيفعلها صديقي ويفلت، لن يرضى بالهزيمة مرتين! سحب يده وانطلق، اعترضت سيارة طريقه وقتلت حلمه! لمحته كورقة تلعب بها الريح، بجواري سقطت حقيبته، تناثرت دفاتره قلم الرصاص بقايا نبضاته آخر أنفاسه الشاهدة أن لحظات عمره انتهت.. رغيف الخبز الذي لم يكتب له! بدأت ألملم شتات صديقي، وأنا أنشج بالبكاء، وأصرخ صديقي، ولكن كان كل شيء يخبرني بأنه مات! أخذوا صديقي، إلى مكان لا أعرفه، كان الجميع يقولون أنه مات.. ولم أفهم معنى الموت؟ في الفصل كنت أتفقد طاولته وهي شاغرة وأتألم، بدأت أختنق حين داهمني المعلم بسؤاله: فاهم.. ويرفع صوته غاضبا؟

تصببت عرقا وطال صمتي، ضربني بشدة وتوعدني بالمزيد. لحظتها لم أشعر بأية وجع، كانت الدقائق فقط هي ما يلتف حول عنقي

ويخنقني، ! حين وصلت إلى البيت سألت أمي عن الموت، قالت: هو مثل النوم، ولكن فيه لا تعود أرواحنا فلا نصحو! وحل الظلام بسرعة وجاء وقت النوم.. شعرت بالخوف، اقتربت من أبي وهمست أنني أحتاج أن أكون بجواره، صرخ بي: أنت رجال وتخاف؟!

اقتربت من سريري، تركت الضوء وفتحت المذياع وتمددت من دون لحاف، وبدأت أغمض عيني وافتحهما فجأة، كنت أرغب في رؤية روحي وهي ترحل ثم كيف تعود؛ ولم أستطع!

مع أذان الفجر شعرت بأن الحياة تمنحني مهلة في العمر، تحسست قلبي تأكدت أنني لم أمت! غفوت قليلا حتى سمعت أمي تنادي: سوف تتأخر عن المدرسة، تعذرت أنني مريض، لم تلتفت! بكيت، شدتني وأخذتني نحو المدرسة. أخاف الموت هناك، سلمتني إلى ذاك العجوز الذي يجلس أمام دكانه، وناشدته أن يسلمني بيده للمدير، حاولت الهرب، أوجعني ضربا، انظر إلى أمي وأبحث عن أمان أهرب إليه.. ولكن أين؟

في يوم الامتحان تجاهلت السؤال الثاني، حين سألني المعلم، قلت: البارحة راجعت دروسي أنا وصديقي ولكنه اختفى قبل أن يكمل المنهج، كان دائما يتمنى المركز الأول، ولأن هذا السؤال لا يعرفه لن أجاوب عليه، ونتعادل في الدرجات، ونتفوق معا.

ورسبت، ولم يعد صديقي!

مقطوعات بليدة

-١-

تختار حالة التوقف، تبدو الأشياء في حالة جمود طويل، تعلن أن الوقت مناسب جدا للمغادرة، تسحب آخر حقيبة، تغلق الباب بهدوء- الجميع غارق في النوم- وتذهب.

-٢-

تضع لافته صغيرة على البوابة، تشير إلى أن المكان مغلق، تسير بخطوات متزنة، ترمي بالشال الأبيض خلف عنقها، وتدع شعرها يتبعثر، ويعبرها الغبار، وتصفر!

-٣-

تعبر الرصيف المتهالك، وتقف عند محطة القطار، تلمح شابا مراهقا يخترقها بعينيه، تحدث نفسها بأنه شاب فارغ، وتبتسم من أجل الطفلة الواقفة بجواره.

-٤-

تختار المقعد البعيد، تجلس دون ضجة، تسمع صوت ضحكة مزيفة من المقعد المجاور، تعلم بأن النفاق مادة ضرورية في الحياة، ولكن لا تجيد مضغه!

-٥-

تتشابك أصابعها بالقرب من صدرها، وتستند على النافذة، تغمض عينيها برتابة، وتدخل في غفوة قصيرة.

-٦-

تستيقظ على ضجيج، تسمع الصرخات تعلو، وصوت يهتف: ألزموا مقاعدكم، القطار ينحرف عن مساره!

-٧-

تلمح الذعر على ملامح الجميع، تقترب الأيادي وتختنق الأنفاس، تشعر بأن الجميع تحول إلى كتلة واحدة، تعلم أن الخوف قوة جذب، وتعلم أيضا أن الهلع خدعة، تفتح حقيبتها وتبحث عن قلم رصاص!

-٨-

تجرح قلم الرصاص بحافة النافذة، يبدو حاد الآن، هكذا رددت في همس، الآن تكتب عن الموت، وتطعن الورقة!

-٩-

تغرق الورقة بالدم، وتموت الكلمات بعد الميلاد، تبث بعض أنفاسها في حروفها، تنتفخ العبارات، وترتفع الورقة نحو السماء، وتتعلق بالسقف!

-١٠-

تصطدم العربة الأولى بحافة الجسر، ويتوقف القطار، ويرتفع الصراخ، وتبقى العربة الخامسة هي الأكثر سكينة، ويستمر الشاب المراهق في تفحص الأنثى الباردة.

Game over

ائتمنوني على وصاياكم، دسوها مع تبغ اختناقكم في لفافة سجائر حنينكم، وأعدكم أن تتشكل راحة كفي الأيسر كمنفضة بلورية، ودعوني أحمل وصاياكم إلى السماء كوشم تذكاري لجمعية الأرواح المسكونة بالحياة وأسلمها أرواح مسكونة بالغياب.

وأحدثكم أن كل الأشياء تحت السيطرة، وأني أبحث عن المفتاح الخاص بتشغيل الشمس لعلي أطفئها قليلا! هذه الأشياء التي تمارس جبروت الحضور كحالة حزن مثلا- وتدعنا مرغمين لانسياب الضوء ولحظة الدفء الإجباري- دون الالتفات لمحاولاتنا الصغيرة لإغلاقها ترهقني، أنا أرغب في الضوء والدفء ولكن الذي أختاره.

وأكمل محاولة التملص من عبث الطفل المحترف في التعامل مع التقنية الرقمية، وخطته في استغلالي للتنقل بين مسارات لعبته وكأني الثعبان الجائع ويتمدد، ولا يمنحني فرصة توقف مؤقت. يجب عليه الآن أن يدعني قبل أن تضيق روحي بروحي وأموت!

حاجات صغيرة

أحتاج فنجان قهوة وعرافة، أحتاج غيمة على هيئة ربطة عنق، أحتاج معطفا كحليا وشالا أسودا وجواربا رمادية وحضن، أحتاج خمس فراشات تحمل قطعة سكر إلى مستعمرة النمل، أحتاج قلما مجوفا معبأ برذاذ المطر، أحتاج وشاحا ذهبيا يغلف أوجاعي وطوابع بريد تخص مثلث برمودا، أحتاج رسائلا كثيرة، مختلفة، أحتاج أن أكتشف شخصا أخر كنته ولم أعلمه، أحتاج أن أصل إليها قبل أن يرتد إلي طرفي، أحتاج منضدة لا تتكئ على أربعة قوائم ويعلوها خمسة خونة وتنكسر، أحتاج عناقيد فرح صغيرة تربو في صدري، أحتاج عشرين أصبعا ونصف كي بورد، أحتاج ملائكة مفرغين تماما لمناظرة شيطاني، أحتاج لسبع سنبلات من حظ في جيبي، أحتاج أن اعرف البئر التي قذف يوسف فيها حتى يعلم الكون أين مكاني، أحتاج أن أبدو لمبة نيون وتقطنني العناكب، أحتاج أن اشد أحلامي في كمنجة وأعزف شجني، أحتاج أن تنمو فوق جسدي دودة قز تشكل من ثرثرتي حقيبة، أحتاج رغيفا من محصول القمح النابت فوق قبري، أحتاج صوت ماجدة الرومي تغني السلام الملكي، أحتاج وثيقة التخرج ومنحة إلى استراليا وضغينة الأصدقاء، أحتاج جميع دفاتر واجباتي المدرسية وخيزران لضرب كل المعلمين، أحتاج أن يتغلب الأهلي عشرة صفر على الإتحاد، أحتاج بطاقة فيزا وتهمتين بالنصب وثلاثة صكوك إعسار،

أحتاج سلة مهملات تتسع لهذا العالم بعد أن أكمل تلويثه، أحتاج أن أموت.. لحظة يموت كل الذين أحبهم كي لا يحزن أحدنا على أحدنا، أحتاج تسع رسائل خاصة مجهولة العناوين ورسالتين بريديتين معلومة المصدر، أحتاج مذكرة إلقاء القبض على دكتور مادة الجبر وشريط الأخبار المكتظ بالحزن، أحتاج ثلاثة وسبعون ألف دولار وجميع أفلام توم كروز ومؤلفات شعراء المهجر، أحتاج زعامة السيرفر رقم خمسة في لعبة ترافيان، أحتاج محطة بنزين تسكب وقودها في عثرات السنين وسأشعل من صدري اللهب، أحتاج ذاكرة تحفظ كل النكت السخيفة ووظيفة مهرج في دار الصم، أحتاج طائرة إخلاء طبي تأخذني إلى السماء كلما حل الظلام، أحتاج برقية تعرية لفضيحة كل المثقفين أمام عدالة المتسكعين، أحتاج طفلتي [فجر] واللّه العظيم، أحتاج ثلاثة أصدقاء عندما خذلني أشقياء القرية، أحتاج أن أكون المرافق الخاص للملاك المكلف بتقسيم الأرزاق، أحتاج صبر شبكة الهواتف المتنقلة على حديث النساء، أحتاج بلادة مراسلي صفحات الحوادث في صحافتنا المحلية، أحتاج تأمين حياة كريمة- جدا- لكل المصابين بمتلازمة داون، أحتاجها جدا.. أحتاج أن أمنع دخول السجائر بكافة أصنافها إلى المملكة، أحتاج أن يعرف الجميع أن بداخلي رجل مجنون حتى النخاع، أحتاج أن أقطع بث جميع قنوات الشات والمسابقات، أحتاج أن أخفي الأقنعة المتجمدة على ملامح الجميع وتنكشف سوأتنا، أحتاج أن أتلو كل الحب الذي في قلبي بين يديها، أحتاج أن تتحول عيني إلى شاشات عرض ثلاثية الأبعاد في كل لحظة أعيد فيها استذكار لقائنا، أحتاج أن أسحق سلطة القبيلة تحت قدمي ويتعرف الجميع -متأخرين- أن كل إنسان هو صديقي، أحتاج مظلة مثقوبة كلما انهمر المطر، أحتاج أن أفهم من يخذل الآخر: الوطن أم المواطن، أحتاج أن يتحرر عبيد الأوهام من ضعفهم، أحتاج

تدليكا لمسارات السعادة في وجهي. . وأبتسم، أحتاج أصابعها منديلا يمسح عن جبيني- الآن- العرق المتساقط، أحتاج مخرج أفلام سينمائية -ساذج- وكتيبة من العسكر- التافهين- ويعجزون عن إصابة منطادي، أحتاج إلى صوتي حين ترتفع صلواتي في عز حاجتي لك يا اللّه، أحتاج إلى صديق وقح أعلق عليه كل خيباتي!

سيرة مبتورة

بعد أن تخرج من المسجد، تصطدم بالسيدة القابعة في الزاوية تستجدي بضع ريالات، عباءتها تكشف عن بعض جسدها، التجاعيد تشي بعمرها الزاحف نحو الثمانين، ولكنك قد تتجاوزها كالعادة دون أن يقل رصيدك! وتحدث نفسك. . التسول أحيانا سرقة مهذبة! الغريب أن السيدة العجوز تحضر بعد صلاة الفجر فقط! يبدو أن عملها يتطلب منها أن تزور أماكن أخرى في بقية الصلوات!

بعد حكاية التسول اللحظية تلمح شاب عشريني، في عينيه حيره، وفي حركة يديه قلق، ويتمتم بكلمات متقطعة، قد تفهم أنه يبحث عن إنسان!

هذا الإنسان ليس بالضرورة أن يكون من بحث عنه أرسطو سابقا في عز الظهيرة وهو يحمل قنديله، المختلف هنا - بالضبط- أنه يبحث عن نفسه!

يتلمس الأرواح لعله يجده، يدير جسده بنصف خيبة، يلوك وجعه ويمضي، يتجاوز باحة المسجد ويئن، يضع احتمالا أن المنزل الأول يعود إليه ويقترب، تنفره رائحة المكان ويتأفف! يضع احتمالا أن الرصيف سيضم قدميه، وخز الغربة يحرض ساقيه على الانطلاق! يقف عند تموينات الحي، يسحب الصحيفة الأولى، ويبحث. . في الصفحة الأولى لا يجده، يبرر لم أكن ذا منصب! في صفحة المحليات لا

يجده، لم أحظى بوطن من قبل! في الصفحة السياسية لا يجده، لست قضية ذات مكسب! في الصفحة الثقافية لا يجده، لا تعترف الحياة بأن الإنسان ثقافة! في الصفحة الرياضية لا يجده، لأن خطوات التيه غير مصنفة عالميا! في صفحة الحوادث لا يجده، لا أحد يتعرف على ألم الضياع! في النعي والتبريكات والإعلانات. . لا يجده، في الصفحة الأخيرة، في أعلى المربعات، تحت عنوان صغير (كاركتير) يجده مادة للسخرية!

رسالة الدرويش

ألم. . والراعي ينتفض من الخوف!

الظلام كالحزن، البرق شعلة، الرياح تمارس الفوضى، خيزران الحقل ينكسر، وتنحدر صخرة. والماء يتسلل من ثقوب السقف!

والراعي يرتعد من البرد، واللحاف بخيل كالفرح، وأزيز السرير يستمر، ويبعث القلق. ويظهر في الفراغ حرف!

والراعي ينصت لترنيمة ألم، وتطرق عقله أفكار كئيبة، ويمتد الوجع حتى أعماقه، ويتأوه. رائحة الحزن تدعو للقرف!

والراعي يستعرض أحلامه، ويخبئ أمنياته في قلبه، ويستجدي الحياة بتودد، وتخذله. تفضل القدر وقرر بلطف!

والراعي. . خائف، سقط السقف، تبخر الحرف، بقايا قرف، نهاية في غاية اللطف. مات الراعي، وشيعه الساعي في ظرف!

والآن تمطر بغزارة.

قناديل و متكأ، برفقة الملائكة

إلى أهل الأرض: أتشعرون بالوقت! نحن في الجنة لا نهتـم.
- رسالة من الملائكة.

-١١-

نحن وعصافير الفردوس وسطى وسبابة.. لنا الحق أن نسجل أحلامنا وأن نعبر عنهما كيفما نشاء فهل لذلك سبيل! لي الحق أن أدون ما يخطر ببالي وأنا احلم بأن ابدأ من جديد، أن أعيد تشكيلي وأكون قنديلا، وترفعني يد طاهرة وتخطو بي نحو المسجد، وتأخذني يد مذنبة وتحاصرني في زاوية وهي تسرق، وتقبلني يد مرتعدة تبحث عن دفئي، وتراقبني أنثى حالمة وتلمع ابتسامتها فيني، وتكسرني قطة شرسة وهي تعبرني، ويسخر مني البرواز الذي يتوهم أنه يجملني، وينفيني الظلام فينتهي حلمي!

-١٠-

رجل يحمل حقيبته في يمينه، ويفكر في المحطة القادمة، يقطع سارق طريقه، ويخطف تذكرته!

-٩-

أخذت تتلو على أحفادها الوصية، وتختصر حياتها في كلمات متقطعة، وقبل أن تضيف أمنيتها الأخيرة، صدر صوت ينبه: انتهت الزيارة!

-٨-

ينتظر منها رسالة، ويمزق الوقت في الكتابة إليها. تنتظر منه رسالة، وتمزق الوقت في تقبيل الرجل المتوفر في سريرها!

-٧-

في الموعد السابق تبادلوا العتاب على طول الغياب، ومضى الوقت في الذكريات الكئيبة، وقبل أن يذهب ترك في دهشتها كلمة: الوداع!

-٦-

أحببت ذاك الملعون، على الرغم من حقارته.. عشقته، كان نموذجا للفرح المشوه، تذوقته في جوع عاطفي!

-٥-

لا شيء غير الفراغ أسند عليه جسدي، وأدع الدخان يتصاعد من بين أصابعي وأنا أحترق، ولأن أنفاسي مرهقة عجزت عن إطفاء شمعة!

-٤-

في زاوية المنفى، في الغرفة الكئيبة، حبل يتدلى كفاتنة! يحرض النازل الجديد على تجربة الموت.

-٣-

يجلس على الطاولة الخامسة، ينتظر حتى تأتي الدقيقة الخامسة، يختار من القائمة المشروب الخامس، يدخن على عجل ويتوقف فجأة بعد السيجارة الخامسة، يضع في كف النادل ورقة نقدية من فئة الخمسة ريالات، ويهمس: الأنثى الجالسة هناك- ويشير بيده - بالضبط الخامسة، قدم لها دعوة!

- جشع النساء تطور بعد زواجه من الرابعة!

-٢-

التاسعة صباحا، ويدي ملطخة بالحبر! استيقظت متأخرا كعادتي

في الاختبارات، بحثت عن المذكرة بين ركام الأوراق سحبتها وعرجت على القوانين بسرعة وحملت جسدي نحو القاعة ٣٠٥، نسيت الآلة الحاسبة. . وقلم الرصاص، ابتسمت بنفاق للدكتور وطلبت آلة وقلم رصاص وتمنيت أن أضيف علامة A في هذه المادة! كان وضع المكان مضطربا، توهمت أنه فقط نتيجة قلق هذه المادة الغبية، المادة التي أجزم أنها سبب رئيسي لتنشج الدماغ، انتبهت لوجود رجال أمن! ومعهم حضر العميد وقال: ليلة البارحة تم حرق سيارة الدكتور، هذه الأسماء مطلوبة للتحقيق، ابتسمت بنفاق للعميد، علمت أن اسمي لن يختفي في مثل هذه المناسبات. استلمنا ورقة الأسئلة المعدلة، لم يفهم أحد ماذا يريد الدكتور، الأسئلة كانت أرقام قصيرة جدا وبعض الرموز في سطرين، وبعدها عبارة: كل واحد يحرق بمعرفتوا! كتبت في ورقة الإجابة حدث في مثل هذا اليوم: انقطاع التيار الكهربائي أثناء عرض الحلقة الأخيرة من مسلسل ليلة هروب، خسارة نادي الأهلي لكأس المؤسس، سقوط ناب جدتي، احتراق مستقبل دفعة ٢١، واللعنة. ابتسمت بنفاق-أكثر- لكل الحاضرين ووقعنا على مراجعة قسم التحقيقات، للمزيد من الفشل.

-١-

هي حالة إدمان تجعلني أثرثر دونما دراية بما أفعل، هي حالة المشي في النوم قد أرتطم بالباب، قد أعرف طريقي حتى المطبخ وأشرب كأس عصير، قد أذهب وأكمل النوم تحت سرير أخي، قد أصل حتى الشارع ويقبض علي رجل أمن بتهمة السكر، قد يختطفني مجموعة من المجرمين ويطالبون بالتعويض أو يستخدمون شخصي في عملية إرهابية، قد أنام على الرصيف ويجدني أحد الأثرياء ويضع في جيبي شيك بمبلغ لا أعرف نهايته، قد أضيع في الوادي، قد أصعد نحو الجبل وأسقط، قد يعتريني هستيريا حين أجدني في مكان موحش،

وربما لا أفارق فراشي وأحلم . . وأحلم بأنك تأتين ونحتفل، وأحلم بأن الحلم الذي كنت أتلوه على مسامع أوراقي يتحقق، وأحلم أن الغد الجميل أقبل، وأحلم أن الورد والعطر والمطر وأنا أربعة نمارس لعبة النرد على غيمة، وأحلم أن أنام. . أنام أو أمسح كل ما ذكرت!

-•-

أبحث عن مساحة لحزن مؤقت، أدفع أجرها مُسبقا، لعلي أتجاوز حالة الحرج التي تصاحب كل آهة تنتابني، للحد الذي شعرت فيه أن الوجع عورة ويجب أن يدس تحت عباءة!

الآن كل شيء جيد، ولو كان هناك ما يدعو لصراخي بأعلى صوتي فلن يسمعني أحد. . لن ينتبه أحد لأني نكرة! مجرد رجل يحمل بداخله شحنة حزن وجاء وقت تفريغها، العابرون الذين يرمقون الحزن بالشفقة التي تجرحنا، تجعلنا نبحث عن طريقة مؤدبة لارتكاب جريمة البكاء، لا شيء يستحق البكاء، أخرج. . عانق الأشباح وصافح الأموات، وضع بعض السخرية على البشر! فكل شيء تافه، دعني أذكرك بأمر هام، رغما عنك فكرة غبية حمقاء قد تسكن بداخلك! قد تتوهم أنك تحظى بحصانة، دعني أشفق عليك قليلا، هذا تفكير أحمق! التفكير المنطقي. . أن الرياح تعبرك دون أن تعلم، وذاكرة الزمن تحتفظ باختراقات كثيرة طالت جسدك، لا تكابر! أنت وحدك تعلم أن هذا حصل. . ضوء يتسلل بسكينة، يخلق رسومات متشابهه في فضاء تجاويف إنسان مشبع بالثقوب، وخزات الألم أوجعته، وتعبره الريح الآن، وتأخذ ما يخفيه وتجرده. . تتحرك الأشياء برتابة مملة، وتبدو ملامحنا جامدة، أغدو تمثالا لا ينبض بأية حياة، أتوهم أنني مُغلق تماما وأكتشف أنني مُشرع على اتساعي لكل الوجع القادم! حالة هدوء غريبة. . أرفع صوت أحلامي ولا اسمعها، صخب تبعه صخب

وبعده كنت حالة الصمت العتيق، فمتى أنطق؟ ويخذلني سكوني، فلا أحد يتفهم هذا الشحوب الذي يغطيني، كل ما أعلمه أن فكرة حمقاء غبية تسكن أعماقي! يبدو أن كل الأشياء تأتي فيما بعد.. يبدو أن أكثر ما يمكن أن يحدث في وقت لا تنتظر فيه شيئا هو: أن تسقط الأشياء تباعا.. ما تلبث أن تتراكم عليك حتى تمزقك، تأخذك في اتجاهات مترامية فتفقدك وجهتك! الآن كل شيء سيئ، وأعلم أن فكرة حمقاء غبية تجعلني أتوهم أن لدي سكن، الحقيقة أنني أنا ابن التيه وصديق الأرصفة.. طرقات المدينة تحفظ خطواتي بينما أتسكع وحيدا، يرافقني ألم أعتدت أن أنفثه مع زفيري وأعود كي أسحبه داخل صدري، أجتهد كي أختنق باحتراقي، حتى أكون لا شيء!

أصغر.. وسوف انتهي! اطمئن أنا على الحافة، لن ترهق قلبك بعد الآن، لأنني رحلت! لا تفكر فيما أفعل.. أنا أتجرد، اغتالني في كل زاوية، وأتجاهل البحث عن موت لائق، أية فقد يناسبني.. أعلم كيف أسقط من القمة! لن أغمض عيني، أستحق أن أقع وأتناثر، كنت أكرهني، الآن أود أن أخنقني.. ليس من أجل أحد ما، فقط حتى أقضي عليّ! جلد الذات مرحلة متقدمة، الآن آخر مرحلة في لعبة الحياة: قتل الذات! تذكر أنني قلت: الضياع هو أن تعلم أين تريد، لكن التيه هو أن تذهب خلف عبث خطواتك! أنصحك ألا تراقب أحدهم وهو يتلاشى، أبحث عن طريقتك المناسبة لـ التلاشي.

الآن أغلق كل المنافذ.. أغمض عينيك، وسد أذنيك، وضع يدك على فمك، وبعض القطن في أنفك، وبعد.. هناك شيء صغير سيعبر حتى أعماقك من مسامات جسدك رغما عنك، ولا أعلم ما يكون!

وصيتي كلمتين: لا شيء بعدي.

حزن مسبق الدفع

لو كانت الأمور التي نحاول أن نرفعها ترتفع لتجاوزنا الغصّة؛ لتقاسمنا أرغفة الفرح المكدسة في أرفف القدر، وتناوبنا على قضم السعادة المتشبثة بغيمات السماء، وغرفنا من النشوة حدّ الارتواء دونما ضرائب!سحقا لممرات الوجع، ومرات النشيج، ولحظات الانكسار. سحقا لكل الأشياء التي نعلق عليها أمورنا فتنوء عن الحفاظ عليها. سحقا لي بين حين وجبين متلعثم من الغضب. سحقا حتى الإبادة، حتى الإعادة التي تورث الملل والكآبة. سحقا للكتابة! مُسبقا ندفع الحياة، ومرغمين نرضخ لقسوة الجفاة والرعاة والساقي والباقي من قائمة الشامتين. وتتفتت أسناني وألوك حزني، وتنشطر كرياتي خارج أوردتي، وتعبث في الأرصفة فلا تلملمني بل تبعثرني! خطواتي قصيرة كقصيدة بائسة.. وكلماتي رديئة، وملامحي عابسة.. وحكايتي جميلة، وظروفي قاسية، وأكابر! وأمزق الكدر حسب حدود السطر، وأتلو سخطي وأنا أهوي للأسفل، وأغيب في الوحل، وتواسيني المطارات والمسافات والغايات المؤجلة! وأعيد ثرثرتي على رأسي، تكسوني من هامتي لتستر عورتي، وأبدل بكائي بأغنية عقيمة، لا تنبت السُكر ولا تقطع الضجيج، ثم أشعر أن بي حاجة لوتر عنيد، يشدني من أطرافي ويستغلني لدوزنته، وأرقص في المراجيح السخيفة رغبة في

اللهو، فتعثر قدمي وتنشق حنجرتي وأموت! لا أموت حتى أستنفذ آلمي، وأفي بالوعد الذي قصصته على اثري: كُنت وما زلت الغريب الذي تنكر له وطنه وأهله وحظه، وأنصفه حبه.

تبا للأرق

السابعة صباحا: أرق! برجك اليوم: تعثر الاتصال به. حالتك النفسية: خاضعة لحالتك المزاجية. تفاصيل نهارك: تسير ببطء، آخر المشوار: وش العلوم؟

على المكتب أوراق تحتاج إلى مراجعة، المراجعة لا بد أن تنتهي اليوم، اليوم ينتهي فيه الدوام عند التاسعة، التاسعة تزحف ببطء، البطء يشعر بالقلق، القلق يكبل عن العمل، العمل لا يتوافق مع الألم، الألم كافر! إنها الثامنة مساء: تبا للورق! تجتاحني الفوضى وكل ما في الأمر أريدك ألا تصمت.. الصمت يجعلني أفكر، التفكير يدفعني نحو التركيز، التركيز يغيب الحقيقة الكاملة، وأتبعثر! قبل منتصف الليل بقليل، دع عنك القناعات التي تعرفها، دع كل ما يحول بيني وبينك، دع كل الحواجز والخلافات، دع حتى ما تتوهمه عني.. ودعنا نتصافح قبل الأرق! قبل منتصف الليل بقليل، أنقر بأصبعك على رأسي، تتسلل حتى جوفي، دع روحك تنطق عنك، دعها تخبرني عن ذاتك، وأنا أخبرك عنك في عيني منذ خيالاتك! قبل منتصف الليل بقليل، أفتح نافذة صمتك، دعني أوشوش لك بمشاعري، وأعدك: لن أزعجك! قبل منتصف الليل بقليل، أفعل أية شيء- لن أملي عليك- فقط ساعدني وقاسمني أرق هذا الليل! عند منتصف الليل تتوافد الأفكار نوافذ، لحظة.. دعني أقفز! عند منتصف الليل بالضبط؛ يستيقظ الحزن

ويتسكع على أرصفة المدينة -الحزن المستيقظ في مواعيد منتظمة، يعتقد أنه يقوم بواجبه في نحر القلب الممتد كمنفى - ويفضحني! عند منتصف الليل يتأخر الفرح- هو خائن أو مشئوم- يحضر ومعه رجل القدر بيده دفتر الضرائب! عند الواحدة حسب توقيت الأرق: العابرون دون صوت، أكرهكم / الغارقون في التفكير، أشفق عليكم / الخارجون على القانون، أعتز بكم / الواقعون والقابعون في معتقل الماضي صدقا أحن عليكم/ الراسخون في الحلم، أراكم محلقين/ أصدقائي النائمون في أحضان زوجاتهم، تبا.. تبا لكم/ أصدقائي النائمون بعيدا عن أحضان زوجاتهم، سحقا لكم أيها الأغبياء/ أصدقائي النائمون و يحلمون دون أن يجاورهم أحد، أحبكم/ أصدقائي النائمون ولا يحلمون ولا يعلمون، لا أعرفكم/ أصدقائي الذين لا أعرفهم، لا أشعر بأية تخاطر معكم / أصدقائي الذين يعانون من وسواس الغياب، أقترح أن تختفوا/ أصدقائي الذين قصرت في حقهم، أعتذر أنني لم أخبركم مسبقا أنني لا أعرف الوفاء / أصدقائي الذين خذلتهم، أنصحكم أن تترصدوا لروحي وتغتالوها/ أصدقائي الذين لا يبعثون لي شيئا، تبا و سحقا! عند الثانية من رحلة الغرق: أعترف أنني حين أكون وحدي أبدو غريبا.. هي تقول دائما: لا تبقى وحدك حتى لا ترتكب كارثة! هي التي أحب أكثر مما تعلم ولكن، كيف أجعلها تلمس قلبي؟

أحبك ولا أعلم أن في الحياة أحد غيرك.. اطمئني، أحبك وحين أكتب أحبك أكون قد سمحت لك أن تسمعي نبضي كيف ينطق، أحبك وليتك تأخذيني معك، أحبك وأعترف أنني تعلمت على يديك أبجدية الحياة، أحبك فمن خلالك على الأنثى الوطن.. الأنثى الملاذ.. الأنثى التي تلت على روحي حكمة الملائكة: الحياة إنسان! السابعة صباحا ما بعد الأرق.. تسمع صوت رسالة تعلم أنه حبيبها، هو الذي يتذكرها في وقت كهذا، ترفع اللحاف بهدوء، دائما تكره اللون

الأصفر! تشعر أنه يوحي بالجفاف، لم تنم حتى اللحظة، تبسط يديها في الجانبين وترفع رأسها نحو السماء وتهمس: يا قوة اللّه، ثم تتقرأ الرسالة: [صافحت اللون الأبيض وهو يتمدد في الصباح، ونصحته أن يقبلك نيابة عني] تبتسم، وتكتب: «روحك هي التي حرست أحلامي، أرجوك دعني بقربك». وتبعث بها إليه، تفتح الماء وتستحم على عجل، وترتدي قميصها الوردي الفضفاض، وتفتح النافذة وتتأمل! عامل النظافة يبدو أنه متألم، جارنا العجوز يفتقد زوجته المسافرة، السائق يشذب الأشجار بملل، عمود النور غارق في النوم، الرصيف الممتد يشتد ألما حين يفتقد المارة، وأنا غارقة في الأحكام، وكأنني نسيت أن الأحكام مرهقة! صوت رسالة، تبتسم، وتقرأ: [حين تغفو طفلتي، تقوم روحي بواجب الملائكة]. تكتب له: «أنصحك أن تخبرهم أنني أود أن أنام الآن، نهارك سعيد كأنا، وتنام». الرابعة حسب توقيت الغياب، صباح الإياب.. الرابعة وجرح، بعد العودة من المنفى نحو المنفى تخيل أنني بالقرب، تخيل أنني غير موجود أصلا، لا تفعل شيئا، أرجوك مارس النوم واحلم.

- بين آخر وجع والوجع القادم.. فرحة صغيرة بحجم: ثقب.. ويغادر الأرق!

تعدد أدوار

ربما أكون الرجل الأحمق الذي يجلس بجوارك الآن ويسألك عن صمتك وحلمك وتاريخ ميلادك واسم أمك، ربما أكون الشاب المراهق الهارب من المدرسة بسيارة السائق ويصحب معه مجموعة من الساذجين ويبحثون عن مقهى لمتابعة آخر أخبار التفحيط، ربما أنا عامل النظافة الذي أتخذ من شجرة ظلا له وهم بتناول إفطاره بصحبة همه وبدون قارورة ماء حتى، ربما أنا الطبيب الذي يشعر أن الحياة مليئة بالوباء ويجب أن يتخلى عن مشاعره حتى يقدر على الكفاح ولا ينخفض رصيده البنكي، ربما أن الصحفي الساخط حتى على ذاته ويكتب عن الجمال الذي يتمنى أن يراه في أعينهم وهو عاجز عن تلمسه بداخله، ربما أنا تلك العجوز المستيقظة منذ الفجر وتتذكر الآن الماضي وتزفر آه صادقة ولا يسمع الصدى سوى جدار العزلة في دار المسنين، ربما أنا الطفلة المرتبكة في المنزل بعد ذهاب والديها إلى العمل، وتركها مع الخادمة فالمستقبل يستحق التضحيات بأطفالنا، ربما أنا الإرهابي الذي قدس أحدهم لكثرة ما يشاع عنه ولم ينتبه حتى بدأت السلطات بمطاردته- تأخر في استيقاظه كثيرا-، ربما أنا محافظ هذه المدينة. .
أجلس الآن في غرفة نومي وأجري حوارا على القناة الأولى عن واجبات المواطن وأهمية أن يتفاعل مع مجتمعه، ربما أنا من تقرأ رسالة حبيبها الأخيرة وأنه راحل. . وتلعنه وهي تعلم سابقا أن الحب كان

لمجرد أن تخوض تجربة غير معلومة العواقب، ربما أنا السارق الذي ينوي أن يذهب لزيارة أصدقائه في السجن بعد أن فرقت بينهم الحرية، ربما أنا الفاشل الذي يتجه نحو العيادة النفسية لمراجعة العيادة بعد أن تدهورت حالته حينما شتمه أباه أمام الضيوف بوصفه: الخبل، ربما أنا الإنسان الذي يتسكع في هذا المكان بمفرده ويبحث عن عشرة ريالات ليزور مكتبة ويرسل سيرته الذاتية إلى شركة يقال أن لديها وظيفة شاغرة! ربما أنا كل المتقدمين.. وربما أنا لاشيء.

تحريف التسميات

البداية: التوتر الذي يصاحب الانتظار عند باب أحدهم في ليلة ممطرة!/ الخطوة الثانية: الفوضى التي نخلقها بعد أن نتخطى البوابة!/ الوقت: اللعبة التي تشغل فراغنا!/ الصوت: اليد التي تأخذنا من الوحدة!/ الكتابة: الرغبة في الحياة مرتين!/ النقطة: الميلاد!/ علامة التعجب: النهر الطويل الذي يصب في بركة!/ أنا: الدرجة الثالثة في هرم ماسلو!/ قارورة الماء: اختناق غيمة!/ صرير الباب: حالة سخط على العابرين!/ الحب: حاجة الإنسان للجمال!/ الظلام: غفوة الضياء!/ معطف الشتاء: الدفء الكاذب!/ صديقي: أمنية تشغلني حين تضيق السبل!/ الأنثى: جنة اللّه في أرضه!/ حمامة السلام: سجينة البيت الأبيض!/ الحزن: ابن الفرح العاق!/ اللوحة: علامة لم يقدر الرسام على اختصارها!/ الجريدة: مساحة خلقت من أجل الكتاب الضائعين وحققت أهداف السياسة الخائبة!/ سعد: الإنسان الوحيد القادر على أن يكون أنا!/ الدموع: ثورة العين على صمت المشاعر!/ الثرثرة: لحظة صفاء!/ القبلة: أبسط رسالة!/ المنتديات: فسحة في عتمة الأسوار!/ الصمت: الكآبة.. ولكن في وجه حسن!/ فجر: طفلة الحياة البريئة!/ قصة الحب الأولى: لذة الدهشة!/ التمرد: تعمد تجاوز الخط الأحمر الداكن!/ الحمق: تجاوز الخط الأحمر الفاتح!/ العتب: الرغبة في تجريد الآخرين من محاسنهم!/ السكون: خوف

اللحظة من صفعة المستقبل!/ الحلم: العالم الذي لا نعرفه!/ الرواية: قصيدة خرجت عن خط سير القافية!/ الفقر: وسيلة الأغنياء للتعبير عن مدى وقاحتهم!/ السجن: الحل الأخير.. وشد على أسنانه!/ الرقيب: جاهل بكيفية القص واللصق!/ الحدود: أسطورة العجوز الفاشلة!/ الفقد: أن تنظر إلى أعماقك وتشعر بالوحشة!/ الحب (مرة أخرى): أن تجدك في أماكن مختلفة في ذات اللحظة. / الوجع: أن تعجز في تحديد مصدر الألم. / التيه: أن تقف فجأة على نقطة البداية، حين تكون ظننت أنك وصلت!/ الخوف: أن تستعد لمواجهة المجهول!/ الحزن: قوت الفقراء والمنهكين. / الغضب: ردة فعل عاجزة، حين يكون الفعل تافه. / التعريف: فلسفة الأمور بطريقة ساذجة!/ نقطتين متعامدتين: حين تسقط الأولى تتبعها المعلقة في الأعلى، مؤلم أن تكون على حافة القلق.. وتترنح!

الحالة: لحالة

لا تهتم، عفوا كنت أقصد أنه يجب أن تهتم، لأنه من البديهي أن تتفاعل، ومن المنطقي أيضا ألا تبالي! دعك من كل ما تقدم واسمعني بسكينة:

أردت أن أفسر لك ما يحدث الآن، «بس تعرف ما أعرف!» وألقيت برأسي بين كفيي وغبت في النحيب.

ما سبق محاولة بائسة للعثور على رأس الخيط الذي يتصل بالفرح وتتبعه، ولكن على ما يبدو أنها ثرثرة ستطول بامتداد وحشة قلبي!

-١-

السقف الخشبي المتوتر وأزيزه المتواصل، الماء المتكتل على حافة النافذة بهلع، المواء الممتد من البيت المجاور دونما توقف، الحكايات المتزاحمة كوميض إشارة مرور بعد الثانية عشرة، الرسائل الصغيرة التي لا تصل رغما عن الفراغ الممنوح لعبورها، الكلمات المتراصة فوق بعضها لسرقة عنوان نص من فوق المكتبة الأثرية، الطفلة المتدثرة في كنف جدتها ويتناوبون الشخير، اليوزرات المتعددة وتمارس ذات السخافات المملة.. كل ما تقدم لم يقدر على إقتلاعي من فراغي؛ اللعنة!

-٢-

يزعجني الضوء المتسلل من بين ثقوب الستائر، وأفكر: ما حاجتنا بالنوافذ؟

حتى نتلصص على الطريق المسكوب أمامنا، ونتأكد أن ابنة الجيران بلغت وباتت تخفي بعض ملابسها من حبل الغسيل، ونشاهد صبية الحي يتسكعون على الرصيف ويصرخون بشتائم متجددة على المارة، ونلمح بقايا الأكل تلتقطه يد متجعدة دونما أن نشعر بالحنق على أنفسنا، وننتظر وصول من قرر ألا يأتي الآن ولا يصل!

نحن نقف في الشرفة -فقط- حتى نقول أننا نراقب ما يحدث؛ تبا!

-٣-

لا تأخذني من هدوئي، خذ مني جنوني وامنحني وطنا!

أعدك أن أتخلى عن تمردي وسخطي، وأن أعيد ترتيب أولويات حياتي، وأن أقف باحترام للنظام والقانون، وأن أضع رأسي في الأرض كنعامة.. ولكن في حالة واحدة: حين تتبدل الأمور وتكون الأرض سماء!

-٤-

جرب أن تقول لا في وجه الجميع!

حين تطلب منك الحياة أن تحبها أكثر، لا تبحث عن اللباقة، يمكنك أن تقول: لا بكل جمود! حين يريد منك المجتمع أن تلتزم بأنظمته الجميلة، أرفع أحد حاجبيك وقل لا وأنت تدير ظهرك! حين تتوسلك طفلتك في نزهة، لا تلتفت لحنانك وتجاهلها وأهمس بلا بينما تتابع مشاهدة مباراة فريقك المفضل، حين يصطف العالم كله للنيل من عصيانك قف بكل شموخ الحياة وأصرخ: حينما منحت الجميع نعم بصدق كان الصدى «لا» كان الصدى يخبرني أن صوتي يجب أن يرتفع دوما بكلمة: لا.

-٥-

ممنونك يا أوجاعي!

في كل سقوط أقف وأنا أكثر قوة، أتهشم حتى أتماسك، وأتألم

حتى أفرح بجنون أكثر، أدع الحزن يأخذ مني حتى يشفي شبقه ثم يمنحني الفرح كمكافأة، استسلم تماما للوجع أحيانا كأني أرغب به! ولكن لست دائما- ابن الحياة البار- وأناضل كثيرا لحظة أن أشعر أن في الحياة مجال للظفر بانتصار صغير.

-٦-

نحتاج أقنعة وهواءً نقيا، نحتاج أن نعلم أن كل شيء يدخل في طياته الفراق يجعله كومة حزن.. حتى النص المكتظ بكلمات البهجة تخنقه غصة الفراق، ويتشبث بأصابعي حتى يموت على طرف أظافري!

-٧-

يداهمني شعور في لحظات متباعدة أني استيقظ حتى أصل الليل بالنهار، وأرتب نواميس الكون وأشعل قناديل السماء وافتح ثقوب الدعاء وأغزل حديث الملائكة وأقسم أرزاق الضعفاء وأمرر احتياجات الأطفال وأعيد تنظيم أقدار المتأخرين.. وأجدني أعود للنوم دون أن أفعل شيء من قائمة المهام أنفة الذكر!

-٨-

تحضر حتى تلاحظ أين أخذتني خيوط البحث عن شيء يغيبني!

وتحضر ولا تعترف بأني منحتك شيئا ما، لا أجزم أني أعلم ما يكون ولكن أقسم أني فعلت، واقسم أنك تدين لي بشيء ما، لا أدرك ما يكون بالتحديد، أنا لا أحاول أن افهم كيف تشعر برفقة روحي، ولا يعنيني ذلك كثيرا. إنما دعني أهمس بما يعنيني جدا: حين يلتقط أحد المصورين لحظة مميزة وتكون هي بوابة الشهرة وينسى أن أحدهم تسبب في مجده يكون جاحدا! تتفق معي بالتأكيد؟ أنا لست بوابة الشهرة لأحد ولكن أنا منحتك شيء في فراغ هذا الليل، يبدو كالدفء كالوميض كالشمعة بالنسبة لك.. وارتعد من البرد!

-٩-

يداهمني شعور فاخر حين يمر الرقم تسعة في ذاكرتي أو يتشكل في لحظتي، أدين فيه للحياة بميلادنا معا. هل قلت من قبل أني أتجاهل التوقيت؟ أظن أني فعلت! في الحقيقة أنا أهتم بأدق التفاصيل بشكل يدعو للشفقة.

-١٠-

تعال، وإن شفتني نايم ومغمض عيوني.. تمرد/ أدخل ما بين جفني وعيني.. وتلحفني/ بطير من الفرح.. واتخيلني [عصفور في سما نبضك، بس لا تقيدني] خلني احلم فيك، ولا تنبهني!

-١١-

لو أن لي يدين طويلتين! وأعلم ما تخبئة العجائز فوق مخادعهن، وأسرق بعض أحلام الغائبين، وأغرف من الغيمة حتى أرتوي، وأمسك بتلابيب أحمق في أقصى الأرض، وأمسح بأناملي على جبين زحل، وأحرك ركود بحيرة طبرية، وأصفق لديكارت في صومعته، وأعزف على الوتر الثالث في دار الأوبرا، وأشارك في انتخابات أمريكا، وأحييّ المضيفة التي تطل من نافذة الطائرة، وأرسم الجزء الأخير من لوحة بيكاسو، وأكتب النص الأروع في رواية لم تكتمل بعد، وأرتب سرب العصافير/ المهاجرة، وأسرق وردة ينوي عاشق في ميامي أن يصالح بها صديقته، وأن أطوق الأرض من خصرها، وأضعها في جيبي، وأمضي إلى مجرة أخرى.

-١٢-

إنه الشتاء.. أسرق من ذاكرتي بعض يومياتي وأدس بها ثقوب السقف والجدار والباب الخشبي، أجتهد كي أغلق منافذ البرد، ولكنه يتكور فوق عالمي كقبعة تعزل عالمي وتحبس أنفاسي.. عالمي صغير جدا بحجم حبة زيتون، وأتدحرج!

-١٣-

أتذكر أنهم ثلاثة مشردين، سرت شائعة في الحي تصفهم بالضالين، سكنوا في الحي الذي تلوثه سيدة خبيثة- وكأن الخطيئة جمعتهم- الثلاثة والسيدة كونوا أسرة سيئة، تبادلوا الحكايات وتعاهدوا أن يتفانوا في الوفاء لبعضهم. بعد عام على ما يبدو أو عام وثلاثة أيام حدثت جريمة قتل في المنزل القصي الذي تقطنه أسرة صغيرة تتكون من سيدة وثلاثة رجال! بعد عامين بالتأكيد ظهرت أسرة جديدة تتكون من فتاة بنصف جمال وشاب متجهم كما يصفه الجميع وسؤال يتكرر: من ينجب هؤلاء الصعاليك؟

-١٤-

كان يلعن قناة الجزيرة ويصفها بالعدائية، تمرد ذات يوم وتضامن مع الإرهابيين، بعث في شهر ٦ من عام ٢٠٠٧ بثلث راتبه لجمعية أيتام، في الشهر التالي حصل على تمويل من بنك ربوي، في نهاية العام تعطلت سيارته أمام مكتبة المدينة وتسكع فيها هروبا من الشمس، في منتصف عام ٢٠٠٨ أقسم أن اللبرالية هي الحل، بعد القسم تعرض لبعض المسألة في أحد فروع الهيئة أثر خلوة مع مثقفة، بعد جمعتين من الحادثة تقدم لإمامة المصلين في التراويح، قبل أيام تسربت أحاديث متفرقة عن رواية جديدة فضائحية وهزيلة تسخط على الجميع، اليوم عند التاسعة مساء تسلم تقرير طبي يحوي فيه تشخيص يصفه بالمختل! أنا الآن أشعر أنه نتيجة طبيعة لتناقضات هذا العالم وحسب.

-١٥-

تذكرت أني قلت في الشتاء المنصرم: جاء الشتاء.. أفتح ذاكرتي لتبعثرها الريح، أبسط أحلامي بذورا تستمطر الحظ، وأشعل الحب دفئا يلف الوجود!

حين جاء الشتاء هذه السنة، وقفت.. وقلت: لست إسماعيل!

ولا القربان الذي ضل طريق الجنة، كل ما في الأمر أن شجرة تلبستني/ عرتني. . وتساقطت!

والآن: أرتعد ومعطفي في قريتي الصغيرة؛ أجلبوه لي، أو دثروني بمعطفها.

-١٦-

الذين يملكون مدفأة، وبمقدورهم الحصول على الهوت شوكليت وأصبعين من التويكس، ويضعون Laptops في أحضانهم، ويفكرون بي دون رعشة. . يليق بهم وصف الخونة!

-١٧-

أنت الآن في أبها وحيدا، هي التي رغبت بك في شمال المملكة وحيدة أيضا، الرجل الذي تلصص عليكم يقطن الرياض ويتقاسم الوحدة، الأنثى التي علمت عن المتلصص تتقلب في الخبر وتردد أنها وحيدة، الرجل الذي علم عنكم جميعا ويكتبكم يجلس في مكتبه في ينبع الآن ويطلب فنجان قهوة سادة وفنجان قهوة سكر زيادة لأنثى ربما تأتي لتطرد الوحدة!

-١٨-

يدعي بواب العمارة التي تحتضن جسدي أنه لمحني أكثر من مرة في وقت متأخر أخرج من المنزل وأخطو حتى سور المدرسة القريبة وأهز البخاخ الذي في يدي واكتب بعض الطلاسم وأعود في ذات الطريق حتى المكان الذي يحتوي جسدي، قبل قليل طرق الباب وسألني هل أتذكر أني قبل قليل ذهبت وكتبت وعدت؟ لم اجب ولم أفهمه جيدا، ولكنه أضاف: كنت تسير مشرع الذراعين!

-١٩-

هذا العالم يشبه ترافيان، هذه الترافيان تختزل العالم وتجسده، وتفضح حاجة الإنسان لوطن وهمي على أقل تقدير- وطن نلمسه

ويستوعب جنوننا دون أن يلفظنا!- ولو منحنا الوطن الوهمي لبدأنا في البحث عن تحالف ونشن الحروب مناضلين عن عوالمنا الخيالية، نحشر أمنياتنا في يوزرات تحمل أسماء تشبهنا أو ترضينا، تجعلنا نؤمن أن من حقنا أن نختار حياتنا ونخرج من قوالب سلطتهم! وتصعقنا الحقيقة أننا بلا وطن!

-٢٠-

الرجل الآسيوي الذي ينظف المكان لا يحترم رغباتي، إنه يبعثر أشيائي كل مرة ولا يتعلم أن مكتبي يبهجني بالفوضى التي تعمه! هو ينسى دائما جهاز التكييف وأرتعد كالآن، ويحضر فنجان شاي سادة حين أطلبه بالنعناع، ويجلب لي ثلاث جرائد وحصتي خمس جرائد، ويمسح زجاج سيارتي وأنا أرفض ذلك، وينفض دخان سجائره الرخيصة في المصعد ونحن نتململ بداخله، ويغلق البوابة وجواله ويذهب لمشاهدة فلم عند أحد أصدقائه وينسى أني قلت سآتي في وقت متأخر اليوم، وأضطر للقفز من فوق السور.. هو يفعل كل هذه البلاهات بطريقة روتينه تجعله يبدو طبيعيا تماما وأبدو مشاكسا!

فاصلةٌ موجوعة

(أن تسلك الطريق ذاته.. و تنتظر أشياء مختلفة؛ تهدر وقتك!)

أسير في خطوط عشوائية، الأقدار تتقاطع معي في نقاط، أية تقاطع هو عقدة! عقدة وأخرى وثالثة وتتخلق شبكة هي: حياتي.. من ثقوب الشبكة تسقط الكثير من التفاصيل، حين أغرق في حالة تأمل أستعيد لحظاتي أقفز من لحظة الميلاد حتى ما بعد العشرين عاما حتى اللحظة، أقفز كجرح لمجرد أن تلمسه يد ما ينفر منها! ولكن.. الاستسلام للشعور قيد، والتفكير في كيفية تفاعلنا مع ما يحدث تأمل؛ بعد الفاصلة المنقوطة علامة تعجب!

(أن تختزل الحياة في كلمة.. وتكن شيئا فيها؛ فلا ترضى بأقل من الحاء!)

نحن هذه الحروف المبعثرة على ورقة الوجود، قد نتشابه في الملامح، قد نبدو نسخا مكررة، قد نتطابق كتوأمين.. لكن يبقى لكل منا شيء يميزه، شيء يتعدى البصمة فقط، يبقى دورنا هو اكتشافه، أنا تحديدا لا أجد شيئا مميزا بداخلي، فقط أكون حلقة وصل بين الأرض والسماء.. أنا ماء؛ بعد علامة التعجب! ثلاث نقاط...

(أن تتواصل مع أعماقك.. و تكتبها؛ تصنع انسجاما!)

على الرف الأول ميلاد، على الرف الثاني بكاء طفل، على الرف الثالث لعثمة الكلمات الأولى.. بين الرفوف مساحة تسكنها أحداث لا

يعلمها أحد، نجدها مخزنة في البعيد، تستيقظ أحيانا وتأخذنا إلى مغارة الغموض، نبقى عاجزين أمام حالات الملل و الفوضى والكآبة التي تعترينا دونما سبب واضح! نحتاج بصيرة لرؤية أنفسنا بصدق؛ بعد الثلاث نقاط. . . مسافة

(أن تدع الزمن يحتفظ بالماضي عوضا عنك؛ تتفرغ للحاضر!)

بعد هذا العمر أعترف بالكثير من الحماقات! أعترف أن الحياة لم تتوقف يوما حتى أتفرغ من الندم على أمس ثم تحملني، كانت تعبرني وهي تفتح ذراعيها حتى تأخذني نحو اليوم، نحو العيش في اللحظة، وتقول: سيكون هناك شيء مختلف، صدقني! لم اصدق أحدا، وكنت انتظر - بكرة - الذي صنعته في أحلامي؛ بعد المسافة مساحة فارغة

(أن تغلق نوافذك. . وتنتظر النور؛ ترتكب حماقة!)

الضوء لا يتوقف ولا ينضب، فقط نحتاج أن نفتح نوافذنا، أن نسمح للأمل أن ينبت في صدورنا. أن نستيقظ من هذا السبات، ننفض الغبار الذي تراكم فوق أفكارنا وأحلامنا وأوراقنا وأشيائنا لأنه ما زال في الحياة متسع؛ بعد المساحة علامة تنصيص "

رسالة جديدة

عتبة البداية: أشك في إنسانيتي!

لعثمة أولى: أحتاج أن أحتفل، أرغب بصدق أن أتملك الفرح لحظة! تبدو أمنياتي مستحيلة أحيانا، وغالبا تكون لدي أحلام صغيرة جدا، صغيرة بحجم ضحكة قصيرة، وأعجز عن تحقيقها، ولكن يستحيل أن أتوقف، ليس لأنني أكره الأشياء الجامدة فقط، بل هي الرغبة في إثارة المزيد من الضجيج!

خطوات تتبعثر: الصداع الذي يسكن رأسي، والانتظار الذي يشحذ ساعتي، والألم الواضح في نصوصي، وغيابك.. وصمت الأشياء، وسكون حركة الحلم، وحنين الغربة، وحقيبة الوجع، وصندوق الخيبات، وتذكرة سفر لشخص واحد، وغرفة مزدوجة لرجل وأنثاه المنتظرة، وثلاث مكالمات لم يرد عليها، وفراشة تسافر نحو العتمة، وقصة قصيرة لمجلة فواصل، وحوار لجريدة المدينة، وفاكس من قناة الإخبارية، وفاكس إلى القناة الجديدة، ومقاطعة الحلاق لأربعة أسابيع، وعد بلاطات دورة المياه، وصورة من شهادتي طبق الأصل، وزفاف ابن خالتي، وسخافات القبيلة المتزايدة، وشعار: تعال وجب قطتك معك، والبشوت الملونة القذرة، والحصول على شريحة بدل فاقد، وتصفح المنتديات بلا صور، وفناجين شاي ماركة السيف، ورواية أنت لي غير مكتملة، ورواية أنا راحل المكتملة، و كتاب سوف

تراه عندما تؤمن به، ومقولة ديكارت: الاكتشاف هو القفز في الظلام، وقميص رياضي أزرق وميوله اللون الأخضر، وثرثرة في الغرفة المجاورة.. وبعد: كأنك تفتح عينيك وتغمضها بعد ثانية، كانت هذه أفكاري في لحظة!

بوابة التيه: خائفة على قلبي.. الرجل الذي نبضت له منذ سنتين يجلس بجواري، والرجل الذي نبض من أجلي منذ الميلاد يظهر في حياتي من جديد! الرجل الأول غاية في النبل والشهامة، الرجل العائد يحمل التاريخ معه! الرجل الأول منفتح بلا قيد، والرجل العائد صامت ورزين! الرجل الأول يقاسمني الرؤية والحلم، الرجل العائد يجذبني ماضيه! الرجل الأول يقترب من مصافحة كفي الأيمن، الرجل العائد يتلهف لمداعبة باطن كفي الأيسر.. وأنا أجمع كفي وأستند عليهما بروية، وأتبخر!

الغرفة رقم ١٠: كل الأشياء مؤجلة، والباب موصد، والطبيب ينتظر دخولي، إلى اللقاء.. ويتم الإرسال.

إضافة من شخص سخر نفسه لمراقبتي: رجل عشريني يدخل العيادة بعد أن كتب- كثيرا- على الجبيرة.

ضغطة زر

الساعة الثانية فجرا.. ولماذا أهتم بالتوقيت! أنا المستيقظ للتو من رقدتي الطويلة، لا أفهم كيف قضيت كل هذا الوقت دون فائدة، قضيته في الوهم فقط، لاشيء يستحق أن أحتفي به، الكثير من الألم ينخر عظمي وأشعر باليأس، لا أعي ماذا أقول ولا أريد أن أفهم، فقط أثرثر حتى أتوقف، لا يعنيني أن يصفني أحد بالجنون أو الحمق أو الغباء أو يهبني الشفقة كل هذه الأشياء تافهة، أقدر على الكتابة بالطريقة المدهشة ولكن لا أريد، البلاهة شيء عظيم. أود أن أبدو سيئا، هل يعترض أحد؟ لم يعد بداخلي شيء جميل، ولم يعد في قلبي المختنق أية روح تتسكع، فقط الأشباح اتخذته وطنا، ضغطة زر واحدة كفيلة بإغلاق هذا العالم بكل تفاصيله وذكرياته وأحداثه وأيامه وصداقاته والعمر الذي تبعثر فيه من دون رجعه، إلا أنتِ! أتعلمين أعجز عن تخيل فقدك، لازلت أتوهم أنك بالقرب، سأثرثر كثيرا عنك، لا أعرف شعوري نحوك، أحبك أو أحن إليك أو أكرهكِ، أية إحساس يداهمني هو ما تستحقين! حين يأتي الصباح أرتدي نظارتي وأختفي، أود أن يطول الليل حتى أثرثر أكثر، الهدوء محرض على البوح، الهذيان الذي نكتبه كي نتنفس، ونعبث بالمفردات لنعثر على لحظاتنا الضائعة، نجمع شتاتنا المتناثر على حافة صداقات هزيلة، نشتاق أن يأتي اليوم الموعود ونلتقي بأرواحنا، ننتظر الغائب أن يعود ولا يعود- أخذ النبض ورحل- ذات

سذاجة اعتقدنا أن القلوب طيور تهفو إلى أوطانها، قلبي المتمرد لم يأتي، أشعر أنه معذور فأنا منحته الألم.. أيشعر بالفرح هناك؟ هناك هذه التي نتوهم أنها موجودة! نخلق حلما ونناضل من أجله.. في حين أن الحقيقة التي تستحق أن نفكر فيها موجعة، وهذه الغربة موحشة، أية جمال سنحظى به إذن؟ لا أدري! سباق مع اللحظة، من يكسب الرهان ويحظى بالفرصة.. أناملي تلطخت بالحروف، الكي بورد المستكين كعلبة ألوان تغريني، كل بياض هو لوحة، وأفكاري رسومات لا تنتهي، يوما سأتمدد على ورقة كبيرة و أعلقني على باب خشبي في منزل قديم، وادعني! لن تستيقظ مشاعري من البرد، الدفء الممنوح لها يكفيها للموت بهدوء، دفء أحلام انطفأت كشمعة تحترق ولكنها لا تضيء- طالما كرهت التضحيات-النزف المهدر في المكان الخاطئ جريمة لا تغفرها الأخلاق، تذكرت الآن حينما قلت: في المكان الخاطئ وفي التوقيت الخاطئ وبوجود الشخص الخاطئ تحصل كارثة! في المكان المناسب وفي التوقيت المناسب وبوجود الشخص المناسب تحصل معجزة؛ وتبدو مندهشا من التفاصيل الصغيرة، تستوطن أعماقك دون أن تنتبه، لن تستيقظ إلا بصدمة، تأخذك من السماء وتدعك تسقط.. تتهشم.. تتناثر، يجتمع حولك الكثير.. لا تتأوه، هم فقط يريدون أن يعلموا: أين كنت، ولماذا سقطت، وما قصتك؟ ويرحلون، ويلعنهم اللاعنون، تستيقظ على بقاياك أنت فقط، لا تنظر إلى السماء، ملامحك لا تشبهك، بعد الفقد لا نبدو كما كنا، لا أفهم ما الذي يحدث، ولكن شيء ما يشبه الموت البطيء، لا تفشت في أشيائك عنك، ولا تطالب من سلبوك بأن يردوك إليك، دعك منك، وأبحث عن محنة عظيمة وغامر.. قد تتخلق من جديد. أنا أكذب، ربما تموت مرة ثانية! هذه الشعارات جريمة؛ في الظل عوالم مختلفة ، ونبقى نردد الكثير من الزيف والخطب والمبادئ.. والأكثر حمقا أن نؤمن بالأقنعة.

لا أقنعة، هي شخصياتنا المتعددة تظهر بصور متناقضة، أنا منذ فتره يبدو على ملامحي وجه لا أعرفه ولا أنكر أنه مني، يبدو أنني بحاجة إلى أن أتكيف معه، وأصنع صداقة، وأتخلى عن كرهه! عموما البعض يستحق أن نكرهه؛ والبعض يستحق أن نسحقه تحت أقدامنا ونمحوه من الذاكرة، لا أريد أن أبدو جميلا وأقول أنني أحب الجميع، هذه ليست كذبة إنها استخفاف، أنا مؤمن بالحدس، أقدر شعوري من اللحظة الأولى، الذين أتقزز منهم أعجز عن تقبلهم، أما الذين أتقبلهم ربما بعد أن أعرفهم جيدا أرفضهم! لا أحد يعنيه ما أقوله، على الأقل يعنيني أنا! ضغطة زر.. وينام هذا الثرثار، فمتى يموت؟ حتى يهدأ عقلي وأغفو من دون كوابيس، من دون أن استيقظ حتى اكتب فكرة جديدة تستحق أن تخلد الآن، من دون أن أغرق في لذة الحرف، من دون أن أبحث عني ولا أجدني، ويبحث هو عن الروح التي كان يعرفها ولا يجدها، ويطرح سؤالا ساذجا: أين اختفت روحك؟ تجاوزت مرحلة الدهشة منذ زمن، وأجيب دون خوف: هي معك.

- ماذا تقول أنت؟ قصدت أنني أنا بداخلك أنت.. ذبت فيك.

- تظن أنيّ أصدقك؟ متأكد من أنك تبحث عن كذبي.

- ألا تعترف بأنك تكرهني؟ أعترف بالحب، أنت النقية الوحيدة التي أسكنتها قلبي ولم ألفظها.

- قلبك فندق؟ لا، مطار.

- أحزم حقائبي، وأرحل. [قبل أن تبني الوطن.. تأكد أنك لست في محطة]، وضعتها لافته على قلبي مؤخرا! ويقطع حديثي معها صداع أحمق؛ لا يعرف التوقيت المناسب، ولا يحترم لحظات التحليق، تثاؤب يصيب المكان حتى يعمه الصمت، دائما الصمت حالة كبت منمقه. يقطع الصمت خطواتك وأنت تكمل البحث عنك؛ تحرك يديك بعشوائية، تتلمس المكان لعلك تجدك، تفتح عينيك تنظر بداخلك

وتفتقدك، تصرخ بأعلى صوتك ولا تسمعك، تفكر أين أنت؟ ولا تعلم عنك شيئا.. من أخذك؟ «وتغفو واقفا في طابور الأرواح التائه!» الآن بدأت أشعر بالملل.. الثالثة مساء ولا تمطر؛ الجو بارد وشجي، أتدثر تحت غطاء يفضح أكثر مما يستر، ظلمة المكان تتبددها ومضات من جهازي المرتعد، الصوت الصادر عن الكي بورد كأنه تصادم أسناني، أزعجني أيضا أن يستمر عقلي في تكرار حكم الأخرين، ولكن الجميع يمارس الشيء ذاته! «إن لم نمنح الحياة تجربتنا، لن تمنحنا هي عطائها»

أنا لا يوجد لدي ما يستحق أن يدون ولكن أعاند أكثر وأثرثر معي عني: من أنت؟ إنسان/عمرك؟ ثلاث حماقات وخيبة/مؤهلك؟ الفشل /حلمك؟ تخليت عن عادة النوم /مكانك؟ التيه /ضعفك؟ حنيني إليه/ قوتك؟ قدرتي على المكابرة/لمن تكتب؟ أنا أتنفس /هل أنت مختنق؟ لا، فقط أبحث عن الهواء النقي /اصعد نحو روحك. قيدتني خطواتي/أتخاف التحليق؟ أمارسه من دون أن أتحرك /جرب أن تسترخي. لم أتفرغ لنفسي/الشتاء لغة الاحتياج، بمن تتدثر؟ أتعرى / مدفئة وكوب حليب ساخن وصوت المطر وحكايات الجدة، تتذكرها؟ لم أجربها /في الليل الطويل ماذا تفعل؟ أتسكع على رصيف الحياة، أحلامي ثوب لا يستر جسدي، أعبث بنظري في الثقوب لعل روحي تكون مختبئة في مكان ما/متى تكف عن التسكع؟ لحظة أن أنتقل من غريب إلى مواطن/المنفى شماعة؟ بعض الأوطان سجن /الكسل أرهقك؟ القلق أزعجني! /دعنا نتحدث عن الغد. دعه حتى يأتي / غارق في اللحظة؟ هي الآن /تخلى عن هذا الحزن؟ تخلى عن هذه التهمة، فأنا متزن /نسيت آخر مرة رأيت فيها أسنانك؟ على عكسك تماما، يقول طبيب الأسنان: ابتسامتي تؤلمه. /أتكره الأطباء؟ حرف الدال مزعج، أفكر أن ألغيه من اسمي /ذات يوم ألغيت الحاء، وأصبحت ممد؟ أكتفي بالميمين.. ميلاد، موت /تكفيك واحدة؟ ربما

الإنسان قدره أن يولد أكثر من مرة! حين تجد نفسك لا تفهم وتفتح فمك كأنك تبتلع الدهشة، تظن أن ما تعجز عن فهمه قد يحلو تذوقه، فأنت ترتكب خطيئة! الغموض يجب معه أن تغلق كل مسامات جسدك حتى لا يتسلل إليك جهلك وتشعر بالغباء، وفي مرحلة متقدمة تبدو فيها فاغرا! على عكس الفارغ الذي يمكن تعبئته بالجميل، يمكن أن نسكب فيه الحياة، ويمكن أن يأتي تافه ويضع نفايته في الفراغ، ثم يبرر فعلته بأن بعض الفراغات بيئة معدة سلفا للحقارة! «الفراغ فيه جاذبية ولن يأتيه إلا ما يستحقه.» طالما شعرت بالفرح من هذا الحزن الذي يطوقني، كان بداخلي صوت يهمس: سيأتي الفرح لاحقا! الأمر الذي يجعل عقلي مسرح فوضى، وتتطاير في رأسي مسائل مبعثرة، تبدو ممكنة الحل رغم أن كل المعطيات تشير إلى أنها مستحيلة! فلو أخذنا رقم تسعه مثلا، الرقم الذي يؤمن به صديقي معتقدا أنه رمز للحسم.. معتبرا أنه الورقة الرابحة، هو الرقم الأكثر توهجا، هو الواحد المتكور في القمة، هو الفاصلة المقلوبة، هو حالة الاسترخاء على مقعد الانتظار. وأنا أجزم أن الحياة معادلة مستحيلة الحل!

دوامة تعصف بالقش وروحي ليست إبره، ولن أبحث عن ذاتي في المناسبات، ولا في هذه التحف المصطفة في طابور الحياة، ولا في بقايا إنسان تحول إلى دمية.. أغمض عيني فقط وأغرق فيني، وأجدني. ضغطة زر: off تم تسجيل الخروج بنجاح.

وشوشة

-١-

لاشيء يحدث الآن، الكل غارق في الحلم؛ أنا مشغول بترتيب الفوضى! مشغول بتنظيم عبور التائهين في أوهامهم، أستفيق من يقظتي، وأبعثر الركام المتناثر، وأعبث بكل ما يمكنه أن يمارس السكون! لا شيء يعنيني في هذا العالم، ولا أهتم بكل ما يحدث، لست الأكثر بلادة على ما يبدو، ولكني الأجدر بوسام الرتابة! الأصدقاء الذين سيأتون بعد قليل/ أو بعد خمس ساعات، أنا لم أستطع النوم! تسللت من فوق السور وهذه خطيئة أولى، وعبرت حتى القسم الخاص بي/ بكم، لمحت الهدوء يتمدد في المكان، لم أزعجه فقط كتبت لكم أنني جئت مبكرا، ولم أجد ما يستحق أن ينجز، لذلك أحببت أن أخبركم بحضوري، وعلى هذا أوقع.

-٢-

أشعر أنني أختلس! أتوقع أن تنطلق صفارة الإنذار بعد قليل، وأن تحضر الجهات الأمنية بسرعة، ويتم القبض علي/ أنا، في حالة تجلي مع روحي، وتوثيق الحادثة بالحضور الملائكي، وتدوين أربع تهم: الحضور المبكر، استهلاك الحبر في غير العمل، إهدار الطاقة المملوكة للوظيفة، فرقعة الأصابع بشكل متواصل! لن أنفي التهم، يجب أن أتعلم الغرق في عوالم جديدة، مِثل الآن.

وأتخيل أنني في قريتنا الريفية، وصوت جدي الندي يرتفع بأغاني الفجر، وجدتي تخبره عن أضغاث أحلام ليلة البارحة، وأمي لا تزال نائمة بجوار أمها، وأبي طفل صغير يتوسم فيه جدي الخير الكثير، وأنا أعبر طرقات القرية وأبحث عن ساعة غير رملية، أود أن أعلم كم الساعة الآن حسب توقيت المستقبل! أنا أيضا أتسكع في مقهى المدينة المكتظ بالصخب، واصرخ، هيـــه! ولا ينتبه أحد!

- الآن.. يجب أن أقوم بجولة!

-٣-

ياه، صوت الصمت فقط، هل أنصتم يوما للصمت؟ حين تفعلون ستجدون بعض الصداع في مقدمة الرأس، يشبه أن تشم رائحة عطر عتيق ولكنه قوي حد السيطرة على حواسك، واستفزازك!

يوما مررت بجوار هذا المكان وتمنيت أن أخطو في أروقته بعض الوقت، والآن أنا وحدي أسكنه، وابعث الرسائل من كل مكتب.. اكتب جملة قصيرة، وانتقل لمكتب ثان وابعث بتكملة، ثم أجد مكتب المدير وأضيف تنويه، وأذهب حتى الطابعة، لحظة! الأوراق تتخلق الآن، أنا المراسل سوف أحضرها بعد قليل، عفوا سيدي على لطفك، لا تشتمني أكثر حتى لا تجرح صومك، نعم معاك السنترال، لا تستعجل أنا أصعد نحو مكتبي، مرحبا. أي خدمة، آششششش لا أحد!

أن رأيتموني لا تخبروا الآخرين عني، ولا حتى: وشوشة!

-٤-

لن أحضر متأخرا كعادتي! سوف أسبق الأرزاق وهي قادمة من السماء، وألمح الملك وهو يقسمها ويبتسم من أجلي، يمنحني بعض الثناء لأنني أنتبه لما يفعل، انتبه دون أن أعترض أو أتدخل! فقط أتعلم كيف تسير الأمور بدقة معجزة! أنا اكره الذين يعتقدون أنهم أكثر دراية،

كالذي يقف بجواري وأنا ابحث عن مفتاح الضوء في المقهى المعتم ويتفضل ويخبرني أن الضوء ينشط باللمس! أمقته، لم يمنحني فرصة المعرفة بالمحاولة والخطأ، لقد قطع سلسلة تجاربي، ويبتسم الآن جازما انه نفع الآخرين! أوف لهذه التجاوزات المتعددة، فقط أريد أن ينشغل كل منا بما لديه، أنا مثلا. . يجب أنا أفرغ هذه الكلمات قبل أن تخنقني!

-٥-

آششش، أحدهم يجوب الطرقات بعبث، من الخطوة نعلم حالة الإنسان، ونتعرف على انسجامه مع الحياة، الخطوات الأكثر ضجيجا تعني حالة قلق، الخطوات السريعة هي نابعة من ضعف، الخطوات البطيئة هي حالة وهم رديئة، الخطوات الراقصة هي تتجه إلى لقاء، دعونا نقيم حفلة إذن.

-٦-

عند ٠٥:٥٥ صباحا أردت أن ادعني أغيب، وأذهب في عوالم النوم، وهمست أن النوم في توقيت منظم كهذا يمنحك يقظة منظمة، كأن تستيقظ عند الـ ١١:١١ أو عند الـ ٠١ : ٠١ المهم أنك تحصل على لحظات منمقة، وتكتسب مزاجا فاخرا، ويومك سعيد.

-٧-

أغلق جهازي المحمول، وارفع قلمي المسجى على ورقة من تقويم العام المنصرم! وأتلو كلمات الرحيل، وأمضي متخذا خطواتي السابقة طريق رجعه - هكذا تعلمت أن أمحو أثري - وأقفز من السور، وأصعد سيارتي وأمضي بهدوء، وأخطو حتى أصل غرفتي- ليست غرفتي تماما بالمناسبة - وأفتح جهاز التكييف، وأنظر إلى الساعة، هي الآن٠٥ : ٥٥ صباحا، يا اللّه كدت أن أرتكب حماقة وأذهب إلى العمل مبكرا، الآن أنام وعند الـ ١١ : ١١ أستيقظ. . ويالسخافة أوهامنا!

أوقع.

صديقة الوهم

الحالة: ملل! الثامنة صباحا والمشاعر قريبة من الكبت، تحرضني نفسي على الخروج والتسكع، أذهب حتى مقربة من أرواحهم وأعود بخيبة، ملاذي الوحيد هنا في صدري بين كل لحظاتي الباردة! المقهى غارق في الصمت، تلك الصديقة التي تتنفس الصباح هنا تغيب اليوم، مقعدها فارغ حتى فنجانها تجمد، ويبدأ القلق، أتكون مريضة؟ الصداقة التي صنعتها نظراتنا حين تلتقي بطريقة عفوية منها ومتعمدة مني تطربني، هي بريئة وأنا أحلم بأنثى تغتال الوحدة. أقصد الوحدة التي تأتي على هيئة فوضى في صباح مؤدب كهذا، مدري يتبع ولا! أفكر أن أقدم لصديقة المقهى هدية، وددت أن أحدثها ذات مرة وخفت من تجاهلها، أفكر في الطريقة المناسبة لخلق صداقة قوية وأعجز-ولكن في هذه المدينة التي تشي بنا نحن الغرباء، وتعرف من رائحة أرواحنا أننا من البعيد، تحترم عزلتنا ولكنها تفرض الكثير من الرسمية على علاقتنا بها، وتبقينا منفيين-وأبدو مهذبا ولا أتحرك حين تعبر- صديقة المقهى- بجواري وتبتسم، وأمسك بجسدي حتى لا يطير من الفرح، خطواتها تجعل نبضي يرتبك، وأحافظ على هدوئي، وأفكر؛ كيف سيكون الحال حينما نصبح صديقين؟ مدري يتبع ولا! ربما أن جمالنا يبقى في غرابتنا! يبدو أن كسر الكثير من الحواجز قد يجعلنا نعرف التفاصيل التي تدهشنا، حتى نتمنى أن الصداقة ما كانت. هنا أقدامنا تعجز عن

ألفة هذا المكان، أبذل جهدا أن أتفاعل مع جاذبية الأرض ولكن أجد أنني أزداد بعدا نحو السماء؛ لا أريد أن أصعد الآن فقط أرغب أن ألثم هذه الأرض وأشم رائحة الطين. مدري يتبع ولا! لا أكتب! هي بقايا أشواقنا الدافئة التي وجدت فرصة في هذا الفراغ البارد وخرجت؛ تتطاير كأحلام أطفال يعبثون بالطائرات الورقية ولا تعود إليهم، لايعلمون أصلا أية فصل الآن وكيف تجري الرياح، فقط يرتجفون! لا يعلمون أنه وقت الارتباك والشموع الخافتة والمعاطف الممزقة والذكريات المهترئة! وبعدّ.. لملم حروفه من فوق الطاولة وخرج يبحث عن صديقته. مدري يتبع ولا!إنه هو.. هكذا يكون قلبه نور ودفء، ولكنه ليس موجودا في الواقع، إنه نتاج الخيالات التي تتخلق في الصمت، قد يأتي وأنفث فيه من حرفي حياة ويرافقني، ويموت عند آخر حرف بفن. مدري يتبع ولا! ما بال المطر جف! عجز في أن يكون رطبا، تتلعثم آخر القطرات من صنبور السماء، تلفظ الغيمة مائها وكأنها تتصدق علينا، أنا لا أكترث بالمطر بالمناسبة.. فأنا لا أغتسل إلا بماء غيمتي. مدري يتبع ولا! أية مكان مناسب أن نضع أرواحنا فيه وننام، لن يتبع!

أنتِ وجهتي

-١-

لا أرى سواك! أتصفح المكان من بعيد ولا ألمح غيرك، المكان فارغ جدا إلا من تناغم أرواحنا معا. التفاصيل التي طالما كتبتها هي التي تغني لك، تحرضك على الجنون، ترغب في أن تسمع صوتك وأنت تضحكين، وأنت تضحكين بصوت مرتفع يمنح الحياة حلة جميلة، وأنت قادمة من أجلي وحدي، وأنا انتظرك منذ سبقتك إلى هنا، إلى كل مكان حتى أكون في استقبالك، وأفتح صدري. . أسكنيني بقوة، الآن فقط أنا لست وحدي! بالمناسبة لا أشعر بشيء إلا كفك وهي تعبر بهدوء فوق راحتي.

-٢-

ارتباك يطوف حولنا، ونتشبث بأيدينا خشية أن نتبعثر فينا، نرغب في لعثمة ممتدة، وتوتر يجعلنا نقفز فوق وتيرة هدوئنا ونرقص، ونرقص أكثر بغواية، بغواية فاتنة وفاخرة، حد الهذيان.

-٣-

كان أمرا مرهقا فيما مضى أن أراقب وصول رسائلي إليك، كنت أحلم بلحظة أستيقاظ على صوت رسالتك، انتبه لحرف ينقر على جبهتي ويقول أنه منك ويناديني إليك، وأتيك. . لم أتأخر يوما! ولو تأخرت اغفري، أكون حينها أستعيد أنفاسي المتلاحقة من الدهشة، هل فعلا وصلتني رسالة؟

-٤-

أخبرتك أن المناسبات تتعمد أن تحضر وأنا في البعيد! وحدث أن جاء العيد ليخبرني أنني موشوم بالغياب.. صوت مربك جعلني أهمس دون وعي: أمي.. كل لحظة وأنت في حياتي! وبعدها أصابتني غصة- أعرفها لكثرة ما تجرعتها- المرهق أنني لم أكن مستعدا كي أصرح بهذه الرغبة، وأدرك أن الخجل الذي أعلق عليه كتم مشاعري هو عذر واهٍ وكاذب! الحقيقة أن قول الأشياء معلبة يجعلني خال من أي إحساس، يجعل صوت نبضي منخفضا لا يسمع، أرجوكِ: إن كنت أنا ما تنبضين به فأرفعي صوت نبضك وخذيني إليكِ.

-٥-

منذ اللقاء الأول، قبل سنة، سنتين، ثلاث وعشرين سنة بالتحديد، منذ الميلاد الجميل الذي نبت في حياتي، حين وشوشة الحياة بأنك وصلت، لحظة كنت أفترش الرصيف المستكين عند نافذة صراخك، كانت نبضاتك تتلو علينا الطمأنينة ونخشع، كنت وحدي من يفهم وقارك، وحدي- أيضا -من كشف عن الشيب الذي يحتل رأسه لأنه يتبلل بأنفاسك، وحدي من قال عنك حكاية لا تشبه إلا ملامحك، وحدي من دون حضورك وحضورك، وحدي من أثار فضولهم ليعلموا عن سرك، وحدي من كان يحتضن أحلامك وتنامين في أعماقي، وحدي من يدعو اللّه أن يروي ظمأ روحي بك حبيبتي، وحدي من أخبرك ليلة البارحة وهو يرتعد: دعينا نلتحف حبنا وننام في أحضان بعضنا فقد بدأ الشتاء.

-٦-

في اللحظة القادمة لهفة، وأعيد سماع الأغنية، أنصت لسماع صوتك حين تختزلين الحياة في بوحك، وتتساقط الكلمات في صدري، وأحتار بين أن أنبض بك أو أنبض بي فيك! وأخذك من

تأملاتك، وتتمتمين باسمي بين دعواتك، تستغفرين جنوني الذي هو أقل من حاجتي، وأعيد سماع الأغنية، أحلامنا ثقوب من ضوء، تنساب عبر مسامات توغلنا في لحظتنا، نبصر تقاسيم ملامحنا وهي تتسع كي تحتوي أكبر قدر من رائحتنا، ونغيب عن الوعي تماما، وتعيد الأغنية الهمس دون أن نطلب ذلك منها، تود أن ترى أشيائنا تكمل رقصتنا.

-٧-

يوم أن بعثت رسائلي وأنا في البعيد، تحرقت شوقا لعلي أعرف كيف تفعلين حين تصلك! كنت أضعني في مغلف يحوي روحي وأبعثه، تحفه دعوات من قلبي بأن أسكنك، أن أملك القدرة على التجمع حول نبضي أمام عينيك، وأغني لك نخب حضورنا، ونمزق وهم الانتظار على الشرفة، وتسقط خيباتنا في البعيد، وتمطر. . تنهمر السماء بسخاء، ويدثرنا معطف أسود اقتنيته في آخر غياب، وتبدو عليك ابتسامة دافئة وتميل قبعتك قليلا بمقدار انحناء طرف شفتك اليسرى، ونغني يا مطره رشي رشي.

-٨-

حافية القدمين وتحديدا فيما يأتي بعد كلمة هذياني، قاتلتي. . أما زلت تحبين أفلام الرعب؟ تذكرت الرعب حين كتبت قاتلتي، حين تعتصر الذكريات قلبي وأسخط على كل شيء يحجبك عني، حينها أخشى على سكونك من صخبي، وتنساب غصة حتى تتجمد على شفتي: أبكيك حتى ألتقيك/ أتنفسك حتى أحتويك.

-٩-

يرغبون في التلصص على روحي التي تحتوي حبك، وترغبين أنت وحدك في النظر إلى أرواحهم أكنت فيها! لا يعنيني أن يحبني أحدهم،

لا يعنيني أن يجد فيّ الإنسان الذي يتنفس الحروف، وأن يقدم بعض نبضه منحة لأني ربما أهبه بعض المتعة. هذه الأشياء لا تقيم في قلبي أية أهمية طويلة، لاحظي أنني قلت طويلة حتى أكون أكثر صدقا معك! بربك من يرفض الإشادة حتى لو كانت لأنه ارتكب الخطيئة الأجمل؟ فقط هو استثار هدوء الآخرين! الأهم أنك وحدك قبلت بشتاتي وقدمت حبك في وقت أعلم أنني لم أكن أستحقه، أنا طالما كنت أكرهني بشدة! وأكرهني أكثر لحظة أن أفكر أنكِ بمجازفتك بقلبك حتى تمنحي روحي حبكِ لم تكوني في وضعك الطبيعي؟

-١٠-

أقرب مما تظنين، ضعي راحة كفك على صدرك، دوني نبضاتك الناطقة باسمي، ضمي أصابعك داخل قبضتك، أسترخي وأغمضي عينيك، دعيني أخرج من تجاويف أناملك، كملاك يحقق لك أمنياتك الجالبة لي، لا تتحركي الآن! أريد أن أعانق جمالك دون أن أخشى سطوة نظراتك، طالما بعثرتني بحنانها، حد الغرق فيها والغياب.

المرسل: أنتِ
المرسل إليه: أنا

لا تقل لهم ما تريد أن تقوله لي، أخبرني كيفما تشاء بما تريد الآن، لا وقت لدي لانتظار وصولك، سأحرضك على الكلام وأفتح أمامك منافذ الوصول، وأذكرك[في قلبي مغنى وفي رأسي طرب، جسدي يرتعش منذ البارحة، تتعلق أنفاسي بتلابيب طيفك، ترتعد نبضاتي ويظهر في صوتي نغمة.. أحبك أحبك أحبك.. أحتاجك وتغنين من أجلي]

وتهطل الرسائل.

- لا تتدافعوا على نافذتي بهدوء، سيحدث أن تقتحموني بصخب يثير فراغي.

-١-

المرسل إليه محمد/ بابا: بين ضفائري الصغيرة، ولعثمتي التي تعجز عن نطق اسمك بلا خجل، وكأن سنواتي الثلاث تتخاذل كلما نويت أن أخبرك بأني أحبك أكثر مني، دعني أقول اسمك كما يناديك به الجميع، ولحظة أن تتجاهل صوتي سأصرخ بقوة: بابا طيرني فوق وأتيك بالمطر.

المرسل: طفلتك/ فجر.

-٢-

المرسل إليه محمد: تعلم جيدا أنه من المستحيل أن أتذكرك، وهذا ما دفعني لأن أبعث لك برسالة كي أخبرك أن لا شيء يتغير، فأنا لازلت أؤمن أنك غائب عني تماما كلحظة جميلة يستعصى أن تعود مجددا، كلقاء عابر في زمن فائت لم يخلد.

المرسل: مجهول.

-٣-

المرسل إليه محمد: ليلة البارحة كنت أمشط الأرصفة أبحث عن بقايا تسكعك، خذلني أن ألمح أثرك في طريق جديد، وقضيت الوقت وأنا أقضم أوجاع البحث عنك ولا تنقضي، لعلك تعود وتأخذني.

المرسل: ظلك.

-٤-

المرسل إليه محمد: يرتفع صوتي ولا يرتد الصدى، ويترنح شجني بين ندائك ولفظك، وتكف الدعوات عن معانقة راحتيك، فلا أنت تحترم الذكرى ولا أنا أنفك عن التحنان.

المرسل: وترك.

-٥-

المرسل إليه محمد: أود أن أكتمل، دعني أتمدد في البياض كحلم يتجاوز حدود المنطق والرغبة، وحين تشعر بالملل لا تتوقف.. أمنحني فرصة أن أغفو حتى تعود لمتابعة غزلك، وأعدك أن أليق بحجم بردك.

المرسل: نص قصير [دافئ].

-٦-

المرسل إليه محمد: يحدث أن تغيب، ويحدث أن أتعثر في التواصل مع الحاضرين لرؤيتك.. لم تترك شيئا منك يكفي لمحادثة

ضيوفك.. ترحل وتأخذ معك تفاصيلك الكبيرة، ويضيق اتساعي بترديد جملتك الوحيدة: يا حبي البكر.

المرسل: ماسنجرك.

-٧-

المرسل إليه محمد: على حافتي أثر شفتيك، وفي خصري بصمات قبضتك، وفي أخر نشوتي بختك وخيبتي.

المرسل: فنجان قهوتك.

-٨-

المرسل إليه محمد: يعز علي أن تستخدمني لبعض نزفك، وما تلبث أن تمضي وتدعني كبقايا عمرك.. ليتك تأتي وتجعلني أمضي برفقتك.. يؤلمني ترنحي بين أن أكون مثلك أو أتجمد بقيود رحيلك.

المرسل: اسمك المستعار.

-٩-

المرسل إليه محمد: حدثتك وأنا بين يديك بأن تضعني في صدرك، صارحتك بأن تخبئني حتى أكبر داخلك ثم أطلقني، ولكنك ما فتئت تردد أن اللّه سيعصمني من طوفان الغربة.

المرسل: وطنك.

-١٠-

المرسل إليه محمد: تعلم أي شبق يطاردني لحظة أن تصل، وتسيل قطراتي على جسدك كي تبللك، ولا ترتوي ولا تكف حاجتي عن الانصياع لك.

المرسل: قلمك.

-١١-

المرسل إليه محمد: منذ أن عرفتك وأنت تبعث إحساسك ولا يأتي بهم إليك، ولا أتيقن هل تنوي أن تكتفي بالتواصل مع نفسك أم

قد تتجاوز ذلك وتعلم من يقف ينتظر نبضك؟ جرب أن تتلاشى وسيأتون ليبحثوا عنك وحينها لن تصلك نبضة تخبرك أن في الوجود من يكترث، لا أحد يهتم. . لا أحد! أصمت من أجل كبريائك إذن.

المرسل: صندوق بريدك.

-١٢-

المرسل إليه محمد: هي خطيئة الضرائب فقط، هي التي أتت على الثلاثة ريالات واختلستها، أرجوك لا تزد من سخطك وتوزع لعناتك عليّ. . فالأمر لم يكن بتدبيري هم من تعاملوا بحماقة مع رصيدك.

المرسل: حسابك البنكي.

-١٣-

المرسل إليه محمد: يتلصصون عليك، يصفونك بالمغرور والغامض والعابث أيضا، ثم يرحلون دون أن يخبروك بأنهم غاضبون منك، أو ممتنون لك، لا تنتظر أن يمنحوك الكثير، لن تجد ضالتك إلا في أعماقك، وحين تنسجم مع روحك ستعلم ألا أحد كان يقدر على سكب الفرح في قلبك. . غيرك.

المرسل: متصفحك.

-١٤-

المرسل إليه محمد: دع الوقت يقتص منك بروية، وأذهب لبعض أحلامك، وسأراقب العابرين.

المرسل: تسجيل خروج.

ضميني، أغلقي صدرك على روحي

جهلك بالتواصل أحيانا، هو جوهر المعرفة!

أتفهم ما يحدث الآن، أتفهم هذا الحنق الذي تشعرين به، ويبدو في تقاسيم وجهك الملائكي، وتتجمد الكلمات في وريدي. حروفي متقطعة حال غضبك، وصوتي رخيم كمساء الغياب، وبي غصة!

أفنيت عمري في انتظارك، جلست على الرصيف أتسول الحياة، وأحدث العابرين عن شوقي إليك، سكنت المقهى المبارك حيث تحدث مفاجآت جميلة، أهز أحلامي وتتساقط أوجاعي، شعرت بالخيبة وضاق بي حزني، وبقيت أهز أوجاعي وتنبت كلماتي، كانت جملا صغيرة جافة، وكان العمر المنصرم عربون لقائك. . كان طويلا جدا بحجم شوقي إليك، كان قصيرا جدا أمام حضورك، فقط قضيته وأنا أقضم طرف كلماتي حتى يكون لي كلمة تخصني، هل أبدو متجاوزا إن قلت أن كلمة: محارة تخصني وأنت، وأنها وطن نسكنه ويدثرنا؟ ضريبة كلماتي أن أسكن بينها، وأن أتلوها كل حين، وأن ينصت لي أحدهم ويهتم- لا أجزم بوجود من يهتم بالمناسبة!- أحيانا لا أحد يهتم بكل ما يحدث! لا أحد تماما يتمكن من تذوق نصك كما سكبته، رؤيته كإضافة بعض السكر، أو كنزع مغلف الشاي قبل أن يسود الفنجان، أو إحضار أصابع شابورة والاستمتاع بالمذاق! أنا لست سكرا أو مغلف شاي أو شابورة، أنا لست إلا قطرة ماء صغيرة، تبحث عن جفنيك

حتى تسكن فيك، وحتى تقول لك رسالة قصيرة: لا يأتيك الحزن أبدا حتى لا أسقط وأتبعثر، وتعودي بعدها لتجميع شتاتي.

أن أقول لا أحد أنا أستثنيك، أنا لم أشعر ولو مرة واحدة أنك شيء منفصل، أنت شيء مني، أو أنا شيء منك.. أنا القطرة الصغيرة النائمة في جفنك، كدانة في طرفك محارتي.

قبل أن يضج الغضب بوقارك أنثاي التي تغار جدا، أخبرك أن روحي فيك، وقلبي ينبض لديك، ولا ذنب لي في أن يكون صدى نبضي جميلا، هو ذنبك.. لأنك فاتنة جدا!

وكأني أقطف جسدك

سأفعل، وأخلعك من عالمي كضرس يؤلمني!

-١-

الرجل الذي يعمل في body shop يخبرني عن غضبه، ويشعر أنه من أبجديات العمل أن يلامس يد إحداهن، ويقارن ذلك بموظفة الاستقبال في مستوصف خاص، ثم يسألني هل تكون ابتسامة الموظفة خطيئة؟ هي جزء من العمل فقط!

- يحول بيني وبينك أنك خال من الإحساس والمثيرات، تلتقط الكلمات حبات ذرة وتلتهمها، وتخفي قاذورات الخيانة تحت أظافرك، وعند خصرك تلتف أعين تشتهيك، ثم تطلب من الشخص الذي استخدمته لتفريغ شهوتك أن يحترمك! أتظن أنه يحترم نفسه أصلا!

وأنت تعتقدين أن العلاقة التي نشأت بينكم في حفلة قديمة في منزل صديقة قديمة- أيضا- يجب أن تحافظ على بريقها، إنه أمر مؤسف أن يخبرك الآن أنها علاقة سخيفة، وكل التفاصيل حقيرة بدرجة سوء مرتفع حد الضغينة!

- تبعثين برسالة لتصحيح المسار المنحرف، والضوء العاثر يتوقف عند حاجز الخديعة ولا يخترقه، لذلك أعتذر عن انقطاع التيار وفقدان شموع الأمل في ليلة سيئة كهذه، ليلة اكتشف أن الذي يخونك مع أخرى تخونينه مع أخر!

المناديل الورقية التي تقدم مع البنزين كهدية مجانية ونقذف بها إلى الخلف، حيث نحتاجها لأمر طارئ، هي تشبه بالتأكيد هذه العلاقات الموضوعة في خانة: حشرات الإنسانية!

- أنا لست مبيدا حشريا، ولكن لدي حساسية عالية لكل الروائح، لذلك لا تغضبا حين أتأفف منكما!

-٢-

أجتز الأيام وتنبت من جديد!

(تعيد الحياة تقديم المواقف بطريقة مستهلكة، والتجربة الأولى كانت قاصرة ولم نتعلم بما يكفي، ونضطر لتكرار ذات الحماقات، ويخفت حلم أن تتحقق الصورة الملائكية التي نتخيلها عن أنفسنا، ونلوك أرواحنا بأنياب يأسنا، فلا ندرك مدى وجعنا ولا ننتبه لاقتناص حظنا، ونشعر بالخيبة!)

جرب أن تنحني لك الأقواس كأعواد الخيزران ولا تنكسر، وارقص المزمار على أغنية: تعلمنا يا دنيا واللّه تعلمنا. وفي الغد سيكون يوم جديد، أعدك.

-٣-

يمكن أن تكون أنثى/ يمكن أن تكون سنترال!

هي أكثر الزميلات حديثا، لا تكف عن الكلام في كل شيء، الفرق بينها وبين الإذاعة أنها لا توشوش، حتى عند النوم هي تمارس الشخير! لا تنظر باستغراب وكأني أحدثك بما لا أعرف، زوجها يخبرني وعينيه المتورمتين من الأرق تشي بذلك! زوجته مادة صالحة للسخرية، ويمكنني أن أتهكم عليها في نص مثلا، ولكن لا أتخيل أن أفعل شيئا مشابها في حضرتها حتى لا أفقدها، وإلا جعلتني مادة فاسدة تماما، وشوهتني في كل مكان! أنا أكسب ودها، وعذري أني أريد أن

أتزوج أحدى زميلاتها! ولكن ما يشعر بالحيرة كثرة الشخصيات التي تذكرها وتخلط بينهن، أمس قالت أشياء جميلة عن منال ولم تأتِ على قصر قامتها! اليوم تحدثت بإسهاب عن معاناة وفاء مع زوجها البارد دون أن تلمح لفوضويتها! قبل أسبوع - إن لم تخني ذاكرتي البليدة- جلبت لي صورة مصغرة عن صديقتها بدرية وأنها في مياعة هيفاء وهبي وتجاهلت أن هيفاء تشعرني بالغثيان! هي تستحق الاحتفاء، هي وحدها من يقوم بتوصيل الحكايات والأخبار بين المنازل، وتطلب مساواتها بعمال توصيل البيتزا ومسوقي الشركات ووكلاء الإعلانات، وأنا أدعمها بالتأكيد!

-٤-

يستيقظ مبكرا كأنه عصافير الحقل تقبل السنابل، يبتسم بانتصار يشعرك أنه قبل أنثاه قبل أن يخرج، يصافح البواب ويتعاطف معه بطريقة تجعل البواب ينحني في محاولة لتقبيل يده، يتحسس مكتبه وهو يخطو بهدوء متفقدا تجاعيد الطاولة، يلوح بيده لتحية الصورة الواقفة في واجهة المكتب بشوق يحرضها على القفز نحوه، يريح جسده على كرسي يطوقه كحزام أمان يضمه، يرفع قلمه ويدعه يتمدد، يسحب نفسا عميقا ويخيل لك أن العصافير تخرج مع زفيره.. يوقع الآن على صك القصاص بحق أحدهم بكل أناقة، ويكرر ذات التوقيع الأنيق بحق خمسة أشخاص آخرين بكل هدوء! وتطير العصافير..

-٥-

إنه الشتاء، يتسلل الهواء عبر ثقوب الذاكرة محملا بالحنين تارة والحزن في أخرى، شوق تدثر أحضانك يا حياة يوصف بالشتاء. جاء المساء.. عادت طيور الحلم تبحث عن ملاذ، في منقارها قوت، وفي عينيها شدو وصوت، وهناك طفل بلله المطر، والأم ترمق خطواته،

يجري وتسبقه الأمنيات، تخشى عليه من الغرق، ويخشى على أمنياته من السقوط! صوت المآذن يرتفع- اللّه أكبر- ويخشع الكون.. يصلي. تلتحف الحياة عباءة سوداء.. دافئة وتغفو، أبعثر أوراقي، أرغب في ورقة بيضاء، أبحث عن شيء مختلف! الحرف الذي اكتبه أريده أن يقاسمني وقتي، يمزق الوحدة عن روحي حتى تتخلى عن هذا الحزن الذي تتوكأ عليه وتتهادى. الرجل الذي يقاسمني الغربة غارق في النوم، أخرج من غرفتي بقميص أبيض بكم طويل وبنطلون أسود، في جيبي الأيمن بطاقة الأحوال، والأيسر فارغ أدعه للمفاجآت! الواحدة فجرا.. المدينة نائمة، وأتسكع بهدوء وأرمق بنظراتي خطواتي، أشعر بالبرد وأعجز في العودة إلى البيت أود أن أكمل، لا أفكر.. فقط أمضي، هذا الرصيف يعرف خطواتي جيدا، لكنه يتظاهر بالتجاهل، هذه الأماكن الغريبة تعرفني ولكنها جاحدة، ليس خطأي أن أكون بليدا في كسب ودهم، ولا أعتقد أنها جريمة هذه الانطوائية التي تتملكني، لا أريد من أحد شيء، ما الذي يجعلني أرهق نفسي بالعلاقات إذن! أنا عاجز في ذاتي، أحيانا حين أذهب إلى النوم أتلو أمنية: يا رب هب أحلامي الدفء والعزلة!

-٦-

عند الخامسة فجرا؛ كان يجلس في الجريدة، يكتب أخبار الصباح.

كان يجلس في الجريدة ويضع احتمالات اللقاء، ينظر إلى السماء: لا بكاء، يصدر أوامره للجميع: حان موعد توزيع الخبر! وأنت: كيف تتصفحين الجريدة؟ من الأخيرة، أم تؤمنين بالبداية! و متى تستيقظين وتطلبين القهوة ورقم الصديقة، ثم تسألك عني قبل أن تحدثيها عنكِ، وتجيبي عن أخبار المدينة، لم يحدث شيء في المدينة. «لكن.. من

أين تأتين بكل هذه السكينة، كأن الملائكة يتناوبون في تعلم القدسية من جنابكِ» أيا نبيلة.. في الصفحة الجديدة، في اللحظة الوليدة، أكون فنجان قهوة وأخبار المدينة، وملائكة ترتاد صومعتك لكسب السكينة.

-٧-

المعاطف المخملية المهيأة للعناق، الجوارب الصوفية الواسعة، ضوء الموقد يبعث الدفء بحماس، أغنيات ماجدة الرومي وفيروز وكاظم الساهر ومروان خوري وأماني، قطرات المطر على النافذة الراغبة في العبور، فراغ الشرفة من ثرثرتنا، همس الستائر وهي تنساب وتحجب النور، حركة تدب في صمت الكتب المهملة فوق المنضدة، عتب القمصان ذات الأكمام القصيرة، الشموخ المتشكل في ملامح القبعات، فرقعة أطراف المظلة وهي تنفرج، انحناء السوسنة على الياسمينة في حديقة المنزل، حكايات الجدة الحاضرة في ذاكرة اللحظة، نسيم الرسائل المتسللة من تحت اللحاف! الأهم مما يرافق الشتاء، هو أن تفتحي ذراعيك، وتمنحيني فرصة أن أغفو على صدرك، أكاد أن أتجمد.

-٨-

«مهما يعلو صوتك، لا شيء يصل إليّ! حافظ على صمتك، وأكمل سخريتك من سذاجتي.» كانت بداية سيئة، الأمر الذي جعل معلمة الصف توبخني بشكل مقزز، في حين أنها وصفت بقية نصوص التلاميذ بالحسنة! حينها عزمت بأن أعترض طريقتها في تقيّم قصائدي، الأمر الذي جعلني محط أنظار كل النقاد ومادة هزلهم، والآن يمكنني ملاحظة أن كل ما حدث سببه حساسيتي من الأصوات المرتفعة، لو أنها قالت مقزز بطريقة مهذبة ربما اعتبرت فعلتها جميل أدين لها به، ولكنها وقحة.

هي بالمناسبة ليست وقحة جدًا، هي تتلذذ فقط برؤية ملامحي تنكمش رغما عن كبريائي، فتظفر بنشوة تقارب النشوة التي كانت عليها لحظة أن خانت حبيبها! هي لم ترغب في البداية بخيانة بهذا الحجم- وهذا يجعل فعلتها مبررة إلى حد ما- الغير مبرر أنها عاودت فعلتها ثانية مع زميل أخر، ما يستفزني بشدة أن هذا الزميل أكثر وسامة مني ويصنع قصيدة تشبه خطابات مديرة المدرسة المتزنة وعلاوة على كل هذه الميزات تذوق النشوة. . كان من الجيد أن يحرم من شيء واحد على الأقل! إني أحسده.

لحظات تتقاطع

استيقظت عند الواحدة- حسب توقيت القلق - رفعت الكوابيس عن عقلي، وبعثرت رائحة الكسل في جوفي، ونهضت بكل هدوء. سكبت على جسدي الماء البارد، تركته يمارس النقر على مساماتي، تذكرت مراكز الطاقة السبعة وبدأت أحررها، وانطلقت. طافت روحي بالمكان، المكان كان فارغا جدا إلا من حقيبة، الحقيقة المليئة بالأمس، وأنا الحالم جدا، أعجز عن معانقتها، وأكتفي بالنظر. تاهت حروفي بين شيئين؛ أن تكتب كي تعيش عالمك الذي تريد، أو أن يفرض عليك عالمك أن تكتب! تصلبت عند عتبة الباب، خطوة إلى الخارج وأتعرى، خطوة إلى الداخل وأختنق، لحظة أطول في الوقوف ستهبني التردد، قفزت نحو السقيفة. سقطت على تمثال أحدهم وصرته، وبت شيئا آخر!

- ينمو على السور فكرة صغيرة، تستيقظ فجر كل يوم وتداعب الزيزفون، تتعثر/ تتخضب بالطين، تشعر بالهلع من العقاب، تبكي بحرقة، على ورقة خضراء تسقط دمعتها، يبدأ موسم الخريف، ويتساقط الورق.. ويفوح العطر.

- يغفو الحكيم في كوخه، على نافذته عصفور - وحيد - ينتحب، ينتظر أن ينصت العجوز، ولكن العجوز لا يسمع سوى شخيره، يطير العصفور بعيدا، يترك خلفه استشارة: كيف نحلق بجناح واحد!

- على الطاولة الثالثة تجلس؛ تحرر الخبر الخاص باغتيال عائلة في مداهمة خاطئة، تضع تعليقها الخاص: حياة الإنسان رخيصة في المنفى. على جوالها رسالة لم تتفتح بعد. في الرسالة: أنا طفلك، اليوم عيد ميلادي، تمنيت أن أجدك بجواري ولو مرة! ابنك البار.

- يتقاطر الدم من رأسه، للتو خرج من شجار مع مجموعة من الصبية، اقترب من برادة المسجد وغسل جرحه، تهندم عند مدخل المنزل، ورسم ابتسامة.

- سحب الكرسي المتحرك نحو الشرفة، كان فنجان القهوة وجريدة الصباح في انتظاره، طالع عامل الحديقة وهو يشذب الأشجار، تواصل معه دونما كلام، رفع فنجانه وهو يردد: اختلافي هو مصدر تميزي.

- تعبت يده من الاهتزاز، و لا أحد يتوقف في هذه المدينة، فكر في دافع يحرضه على السير حتى بيته، اهتدى إلى أن الخوف دافع، بيده المتعبة من الاهتزاز.. حمل حجرا صغيرا وقذف به زجاج سيارة الشرطة، وهرب!

- فتح نافذة الرسائل، ينتظر رأي المتابعين في روايته الجديدة، عرج على الرسائل بسرعة، وأغلق البريد، وفي طريقه إلى الأمسية تذكر: أن قصته واقعية وهو البطل على الورق.

- أخبره في لقاء عابر عن منتدى ثقافي، لمح إلى أنه الأبرز على المستوى الثقافي والفكري، وعرض عليه المشاركة، تفاعل وكتب أول موضوع، ولكن لم يجد أية تجاوب، في الموضوع العاشر وجد ردا واحدا، في الموضوع الخمسين كان قد فهم اللغز، كتب عن: الشبق حالة شاذة!

- يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين سنة، انضم إلى منتدى قبلي،

وأخلص لجاهليته، بعد الباند توهم أنه مميز، وتعمد أن يجرب الإثارة مجددا، وتوسعت شعبيته، وباتت سذاجته ملحمة، وبكى على غبائه.

قفله بالشيش: عاد إلى شخصيته، وتجاوز فكرة أن يكون شيء غيره، ومضى نحو الحياة.

نقطة

ملعونة هذه التقنية! بعد أن تكتب نصك الرديء- فجأة- تفقده رغما عنك، من قال أن كل الأشياء تحت السيطرة؟ يكذب!

كل الأشياء تقول الحقيقة ولكن ليس دائما، الزيف جميل أحيانا، أجزم بذلك! حين تبدأ في الكتابة دون وعي، تجدك تتجه إلى مكان خال من الحياة، تسحب المقعد المغلوب على حظه، وترمي بثقل جسدك عليه- حينها لا تشعر بأنينه منك، لأنك تظن أن وزنك معقول، أعذرك فأنت تجهل أنك ثقيل حتى على الأرض، اسأل حذائك ويخبرك عنك! أعلم أنك تجتاز جملتي الاعتراضية هذه باستخفاف، وتواصل الجلوس على المقعد- وتفتح جسد جهازك الصغير، وتفرق بين فكيه، ثم تختار سبابتك وتضغط على بروز أحد أسنانه، ويستيقظ الجهاز! وتشعر بالوقت يطول وتتأرجح على المقعد المغلوب على حظه حتى تظهر شاشة WELCOME، وتبتسم واهما أنه يحتفي بك، ثم تحرك سبابتك ثانية وكأنك تدغدغ طفلك، وتختار أيقونة WORD، ثم تشعر أن وميض المؤشر ينتظرك حتى تخلصه من قلقه، وتبدأ بالكتابة عن شيء ما. لا تعيه تماما، فقط تود أن تلبي حاجة إلهامك إلى التدوين، وتعجب من سير الكلمات، من أودعها فيك مكتملة! وتبتسم وأنت تقفز إلى الصفحة الثانية، أنت ذاتك كنت تعلم أنك لا تقدر على كتابة جملة واحدة قبل قليل! أنت أيضا تتابع تراص الأحداث في نصك، وترمق

الحبكة كيف تعمل في سردك وكأنها القدر! وحين تدب مفاجأة في قصتك وتصاب بالدهشة ولا تتوقف، في ذات اللحظة أنت تعلم أن الحياة تشبه تماما كتابتك! صوت يهمس بأن تتوقف الآن، أناملك تتمرد وتكمل، باق في الغيمة مطر، لا تحجب أرضك! لا تضع أية ريالات من رصيدك المنخفض في الحصول على مظلة، دع السماء تتأمل عناقها لجسدك، واستمتع بالبلل! أشعر بالملل في غيابك، ولكن حضورك يبعث الفرح، أما قلت أن في قلبي أنثى تحرضه وينبض! وأنت قلت أن كل شيء فيك يخصني، وأقسمت أنني طفلك! هو يتجاهلنا ويكمل ثرثرته بهدوء. الرقصة تتماشى مع الأغنية، وألمح المقطع الأخير في النص في الرقصة في الأغنية في السطر أيضا. . والآن ضع نقطة.

0❋0

الرصاصة القاتلة تختار نقطة المركز، بين العينين تماما!

0❋0

الرقم المتزايد كعداد سرعة، وكأن الحياة تتجه نحو الأفول، ذات الرقم يتصاعد في حساب صلوات أحدهم، لأنه يعلم أين الخلود!

0❋0

كانت تقول جدتي: ستظهر شيبة بين عينيك لسخريتك بضعفي!

وحينما بلغت الأربعين.. استغلني طفلي لممارسة دقة إصابته للهدف، وقتلني!

0❋0

كانت تقول جدتي: كلما كثر أصدقائك زادت حاجتك لنفسك.

ولكنها لم تقل: حينما يتهاوى أصدقائك تقل رغبتك في صوتك!

0❋0

كانت تقول جدتي: أن المطر رسائل من اللّه، وتوصله العصافير!

ولكن العصافير باتت تعجز عن رفع رسائلنا الثقيلة إلى اللّه.

0❋0

كانت تقول جدتي: أن عجائز القرية مواد غير قابلة لإعادة التصنيع!

جدي كان يجزم أنهن قطع صمغ أرغمنا على مضغهن!

0❋0

كانت تقول جدتي: لا تخشى الذين يهذون بكل ما يعرفون؛
وأحذر ممن يبتسم ويسمعك، كي ينخر بعد مدة في سمعتك!

0❋0

كانت تقول جدتي: علق قلبك في جدار ظهرك؛
سيأتيك الحب من خلفك!

0❋0

كانت تقول جدتي: كاهنة القرية تنوي بي سوءا؛
الكاهنة تربصت بي وسكبت في رأسي كل خرافاتها!

0❋0

كانت تقول جدتي: رأس مالك شيمتك، وجميلك فزعتك، وراحتك في غير بلدك؛
ونذرتني للغربة!

0❋0

كانت تقول جدتي: أتلو علينا بعض شجنك، وترفع رأسها وتتجلى؛
ولحظة أن أصمت توبخني، وتقسم أن الكوابيس تأتي حينما يفتح الليل عينيه ليقسم الأرق!

0❋0

كانت تقول جدتي: لن تأمن على روحك حتى تؤمن أنثاك أنك طفلها؛
وكأن قدر الرجال أن يتخلقوا مرتين!

0❋0

كانت تقول جدتي: من سخرية الأقدار أن نمجد ذوينا!

ونبهتني أن أحترم إنسانيتها حين أذكرها، ولا أصيرها ملاكا.

0❋0

كانت تقول جدتي: أمنح كل ما لديك للحياة، ولا تبذر بكائك وأسرف في فرحك، وأخفض صوتك وارفع دعوتك، وتحامل على وجعك قبل أن تثور بغضبك، وأصمت عند جوعك وأصرخ عند خيبتك، وأترك أثر طيبتك وأمحو ضغينة خطيئتك، وحينما تموت لا تخبر الناس أنك لم تسمع وصيتي.. وأنقلها لحفيدتك!

0❋0

وغابت جدتي قبل مولدي، قالوا أنها كانت تنوي أن تحدثني، ولم يرد اللّه أن نلتقي!

الصعود نحو الأسفل

أدون سخطي عليهم دون أن أكسر جمال صورتي في داخلهم، وأحافظ على صمتي! أخشى من الثورة.. ولكن خذلوني! صادفتهم في طريقي دون اختيار، جعلتني الحياة في مواجهة معهم، أنا ساذج جدا، وتوهمت أن اليد التي تصافحني.. ترفعني! لم أقدر على تمييز أنني اسقط نحو القاع، أنزل عبر السلم وأظن أنني أتسلق، أضع قدمي بهدوء الخطوات الأولى، وحدسي الأخرق يشعرني بالأمان، حتى وقعت، ما كان يضيرك يا أمي أن تدعي طفلك للموت! أن تتظاهري ذات يوم بالنسيان حتى يأخذه المرض، أن تتخلصي من هذا الحمل وتدعيه يقع في البئر المهجورة.. أنا لا أملك حتى القدرة على التحكم في نبضي أو أفكاري، أعترف أنني فاشل، وأعلم أن بداخلي قبح أخفية، وأجزم أنني مكتظ بالخطايا، ولا أعلم نهاية جنوني! ولكن هم خذلوني.. حينما تعثرت تكالبوا على ظهري، شعرت بالثقل وتظاهرت بالشجاعة، لم أتمكن من الصمود، ولم استيقظ إلا متأخرا! هذا الخراب الذي يحفني.. أسود، والنور الذي يبدده يأتي بالقوة، أما الكتابة فهي حالة ضعف في اللحظة التي يمكننا فيها أن نفعل شيئا آخر! كأن أبصق في وجهه- كلمة أبصق تعلمتها من الأفلام والكتب المترجمة، وهي لا تشفي غليلي- الكلمة التي سمعتها كثيرا هي أكثر سطوة: أتفل ويتبعها

رذاذا. الكلمات الغاضبة كالصراع، ضربة في الرأس وكدمة في القدم وكسر في الترقوة دون تخطيط، هكذا تتخبط حتى تسكب سخطك عليهم جميعا! أخيرا.. لا أحب أحدا وأكره الجميع، ولن أهتم بما يقال، فقط هبوط نحو القمة!

أنا وهو!

١ : يستفزني أنك هنا، في الوقت الذي أجلس فيه - وحيدا - بعيدا عن كل شيء.

٢ : يؤلمني أن أكون تحت تصرفك، كقطعة تحركها بين أصبعين وتعبث بها، أمنحني فرصة أن أتمرد!

١ : أتابع ثرثرتك، أحاول أن أفهم الجنون الذي يكبر في أعماقك، أشعر بأنك تشي بي، ولا أفهم هوسك بالكتابة.

٢ : أتلصص على يومياتك، أجدني أدون تفاصيل لا تخصك وحدك، الكثير يتهمني بتعريته دون أن أدرك.

١ : غامرت مرة وكتبت عني، وبعد وقت قليل مزقت الورقة، توجست خيفة من بوح متعثر لم أعتد عليه، دعني أتكلم بصوت مرتفع فيدي لا تتقن معانقة الحروف!

٢ : غامرت مرة وتكلمت، جاء صوتي مرتبك، أغلقت فمي وتركتني أكتب أكثر.

١ : لديك أصدقاء، أنا على النقيض وأجهل كيف أحافظ على علاقاتي، غموضي يبني حاجز ويفصلني عن العالم.

٢ : تملك فرصة أن تخرج، أن تتسكع وتلهو، أن تختار مكانا مختلفا وتنصت لحكايات جديدة!

١ : لا أحد يزعج هدوئك، تمضي وقتك بين الكتابة والتأمل، وتشعرني بالحنق عليك.

٢ : منهك أنت من السفر، تقتات الغربة على وجعك، تدس بعضك في حقيبة، تخفي حقيبتك في محطة، وكأنك جئت لترحل!

١ : بطل روايتك أنت، تحكي دون حذر، وتنتشي بكل نجاح، وألمح رقصتك المتزنة.

٢ : أن تكون يوزر فقط، نافذة تسمح للضوء بالعبور، تسكنك العصافير والفراشات، تستند عليك الأمنيات، وتنام في جوفك أحلام أخر الليل، بربك أليس هذا سجنك!

١ : لا أعرفك؛ أتذكر أن أحدهم أخبرني عنك، وأنه قضى أوقات جميلة بجوارك، في الوقت ذاته بالتأكيد كنت أنا في صالة المطار أتأهب لسفر قادم، ولكنه أقسم أنك أنا.

٢ : لا أتهمك! كل ما في الأمر أنك نسيت أن تأخذ انعكاسك على جبين الماء ذات لقاء، وتركتني أصرخ. . أتوسلك أن تأخذني ولم تلتفت، فبقيت مضطربا، لا أشبهك، ولا أتحرر من سطوتك.

١ : من الزاوية كانت تراقبني، كنت أرتعد لمجرد أنها قريبة مني، حالة الذوبان تلك صيرتني تميمة تنام على صدرها.

٢ : كنت أنبض لك ولها، دون أن يعيرني أحدكم أية اهتمام، وتبينت أنني لا أدرك الحقيقة كاملة، في الوقت ذاته لست كذبة.

١ : حين نكون معا أنا وهي في المرة القادمة القريبة جدا أرجوك لا تتلصص، وإلا محوتك.

٢ : لا تهددني، أرجوك أمنحني فرصة أن أبقى نافذة على الأقل، أكره أن أموت.

١ : هدنة مؤقتة، وأتمنى أن تستمتع بعالمك.

٢ : أعدك أن أكون وديعا من أجلك.

١ : أود أن أخفي بعض تفاصيلي حتى يكون لدي أسرار مثل الآخرين! فأنا عاجز عن التخفي، أدع أشيائي مفتوحة للمعاينة. أشعر بحسرة وأنا أحمل في يميني خمسة مفاتيح لأبواب متفرقة لا أنتسب إليها- أنا ضيف على كل منزل منها- يرهقني دوما أن أحمل معي هذه المفاتيح وهاتف نقال ومحفظة، لا أكترث حين ألقي بهاتفي في أية مكان ويعبث به الجميع ويحذفون ما يريدون ويبعثون بكلمات تخصني إلى من يعنيهم! هذه الأوراق الرسمية مللت دسها في محفظتي، يكفيني أن هويتي إنسانيتي! كثيرة هذه الأشياء التي ترافقني، أشفق على الذين يختنقون بدخان سجائرهم، ليس من احتراقهم فقط، ولكن قدرتهم على عدم نسيان الباكيت والولاعة كلما هموا بالمغادرة! لوحات السيارات تجعلني أضحك، لا أفهم حاجتنا بأن نكتب أسمائنا من جهتين، وأمارس عادة قديمة في حفظ اللوحات وتركيب كلمات منمقة، لوحة سيارتي مثلا بحروفها الثلاثة [ي م ق] نطقتها: يبقى محمد قوي، وأضحك أكثر، وأفوز دائما ونحن نعبث وأصدقائي في الطرقات وأركب جمل سريعة منسجمة. حقائبهن تجعلني أضحك أكثر، أتخيل عتب أكتافهن من الثقل الذي يحملونه معهن، لا أتخيل قدرتهن على السير مسافات طويلة بحقيبة تخفي داخلها هاتف ومحفظة وعلبة ماكياج وعطر ومناديل ودفتر ذكريات وأمنيات دافئة، يوما ما سأطلب منها أن تحملني في حقيبتها كأشيائها. منذ يومين لم أتذوق وجبة مختلفة، ترهقني المطاعم والوجبات السريعة واختيارات الآخرين، أحتاج أن أتسلل حتى المطبخ واصنع لي وجبة صغيرة، اندومي مثلا! لو يمنحني أحدهم فرصة العبث بخصوصياته، ويمنحني أرقامه السرية الخاصة بالحساب المصرفي، أود أن أكون في عالمه بعض الوقت لمجرد الفضول، وأمنحه كل أرقامي كما أفعل معك، وأتمنى أن

تفعلي معي ذلك، لمجرد الفضول - واللّه - والتلصص! مكتظ هذا المكان بالعابرين، لو أنني نادل المقهى وأعي ما يقضون فيه أوقاتهم، وأشاهد معهم الصور التي يتزاحمون عليها، أو النداء الذي لا يتوقف بينهم: تعال روم أربعة! أو بحثهم عن مايك لأن أحدهم سيغني، أو دهشتهم لأن أحدهم على الكام يقدم عرضا رخيصا، أو تبادلهم النصائح في لعبة ترايفان، أو ندائهم الذي لا يتوقف هات وِلّعة للكيف، أنا فقط أراقبهم وأرتشف فنجان كابتشينو فتاك، لا . . أكثر من فتاك، هو مجنون ويجعلني أحلق!

٢: أمنحني فرصة جديدة واكتب نص ساحر، فقط أغمض عينيك ولا تراقبني، أشعر بالارتباك من تركيزك فيني!

يا صرم حالي.. صرماه

الفلاح توأم الأرض.. ينحني كالسنبلة يقبل وطنه، بخطواته يحرث أحلامه، ويرفع إيمانه نحو الأمل: رب الحياة ويتفاءل.. ذات حصاد كان الكساد! نطق من أجل القمح.. وقال: يا صرم حالي.. صرماه. الفلاح توأم الأرض يختصر المسافة بين الأرض والسماء في قطرة مطر، يفتح صدره جنة و يغرد/ ذات لحن شجي.. عزف: الليل جانا والعشاء ما طحناه/ قومي اطحني يم الكفوف المحناه! الفلاح توأم الأرض.. يؤمن أن البركة في اليقظة فجرا، ينام عميقا، تعجز الشياطين عن السكن في رأسه ولا يحلم/ يصافح الصبح بقولة: يا اللّه صباح خير وتدبير خير واكفنا شر ما في الغيب. الفلاح توأم الأرض.. أكثر مخلوقات اللّه نقاء، يعلم أن في الأرض كنز، وفي السماء فتح، وفي همته طريق و يبتسم.. يناجي مولاه: أنني أكرم ضيفي، وأنا عندك ضيف دائم.. يا اللّه. الفلاح توأم الأرض.. الأنثى هي الوطن في قاموسه، هاجسه أن يبني معها حضارة صغيرة/ غرفة من الطين سقفها خشبي وعمود الدار: حب، على حافة جدار ينقشون أملا بسيطا و يضيء. الفلاح توأم الأرض.. تستيقظ الحياة وتجده يجلس في الصف الأول، وتطعمه دروسا. يعمل بما يعلم، ويصنع حضارة. الفلاح توأم الأرض.. على الصخر ينقش قصة، قي كفيه ينقش صلابة، فوق الأرض ينقش أصالة. الفلاح توأم الأرض.. أقدامه تخضبت بالطين،

تعرفه من ملامحه، حين تصافحه تدب فيك قوة، نظرته قد تخترق كل الحواجز، يجمع أحلامه في شجرة، ويكبر معها. الفلاح توأم الأرض.. من غرس يديه؛ يأخذ مشعابه.. عصاته. الفلاح توأم الأرض.. ينصت لأغنية الكون.. وينتشي؛ يتمايل كالنبت، ويرقص من أجل الحياة. الفلاح توأم الأرض.. ينثر أيامه بذورا، يتنفس صبرا بحجم الأمل، يهدهد أمانيه في صمت، وينتظر المطر.

زاوية منعرجه

تفتح صدري.. تضع سوسنه في قلبي، تغمض عيني وهي تتحسس قلبي، وأنبض!

صوت الرعد منبه، والضباب فوضى من أجل لقاء مرتقب، والبرق التقاط لحظة، وتمطر! أختبئ عند زاوية المقهى المكتظ بالعاشقين، انتظر قدومها ويطول وقوفي تحت المطر، وكلما أردت الرحيل خطر ببالي أنها ربما تأتي! ولا تأتي.

حلم أبيض يطوف المدينة، يتجاوز الغرفة الكئيبة التي أحتوت عزلتي، المنفية، ويتزحلق عبر السلم، ويسقط؛ ينفض عنه غبار البلاط المتسخ، يقف على الرصيف وينتظر الحافلة، يتخيل أنه محاط بأحلام كثيرة، ويسابقها على الصعود حتى يجلس بين المقاعد الفارغة، يتمسك بالسقف كخفاش، وعندما يشعر بالتعب يقفز من النافذة، لا يقع في حضن أنثى! الطريق أطول من أمنية، عند المحطة الرابعة خيبة تختبئ في حقيبة، مذكرات خيانة في مغلف أسود بيد رجل أحمق يعتز بالمثالية! الهدوء يتجول برتابة في مساحات الحقل، والطيور تغفو مطمئنة، والقمح يتمايل وهو يتلو أغنية الأرض! حتى اللحظة أنبض والسوسنه في قلبي، ولكنها لا تخرج، أود أن ترتفع وتغطي جسدي، منذ زمن بعيد افتقد الدفء! قصيدة تنام بجواري، وبقايا قبلة فوق كتابي.. باقة ورد تذبل كلما تأخر اللقاء! اسحب أخر رسالة فأنتبه أنها

منذ عامين وثمانية أيام. . ولا زلت أحافظ على هيئة المكان دون أي تغيير، فالقلم الأحمر الذي وقعت به على تذكرة سفرها ولونت به شفتيها ينام على المنضدة، ومعطفها الداكن بلون الخريف لم أقدر على لمسه، الأمر الوحيد الذي تجرأت وفعلته هو أن تركت باب القفص مُشرعا من أجل حرية عصفورين ولا أتذكر ما حل بهم بعد ذلك! الذي أعلمه جيدا أنني توقيت المكان وساعته الشاهدة على الانتظار.

أجتهد الآن في تجاوز آخر صفعة رغما عن كل الوجع، وأن أتبين حكمة الحياة من خلال إستلهام فكرة جديدة، من هذه الزاوية الحادة التي أجلس فيها والمتسعة نحو الأمام وكأنها تقول أن الحياة هناك! - الحياة في المستقبل- أفكر: من فتح صدري؟

تغريد الأرض

لم يعد يكفي أن تكون إنسانا كي تحظى بوطن!
تلك الورقة الروتينية الملصق بها اتهام: هوية؛
- هي مجرد وشاية.
رغما عن أنف الرجل المتجمد في صورة عابسة،
بالزى الرسمي، التقليدي الذي يرتديه.. يرمقني
- هامسا: هذا أنت
أصرخ في وجهه.. أتجاهل الملامح المقتبسة مني
أرفع صخب أفكاري نحوه محدقة، أنت بعض زيفي
- يغلق عينيه.
يرتعد قلمي بين أناملي، يتأهب لـ تخليد لحظة
يمرغ جبينه فوق ورقة سوداء، تحبسه غصة
- رقيق كنت.
أصطدم بحافة الطاولة.. تسقط أقنعتي، أوهامي
تتناثر ذاكرتي و أوراقي كحبات سكر رمادي
- ينفض عقله.
أتمرد على اللاشيء، أتوه في تكوينات الفضاء
أدع الحياة تعبرني من مسامات هي ثقوب هواء
- تمثال كتب عليه: أخضر كأنك النبت!

تحدي... عفوا «تعدي»

يرفض أن أتسلل إلى عالمه، وحين يجد فرصة مناسبة يتسلل إلى عالمي!

أتخلى عن سذاجتي، وأفتح بابا مواربا يحجب خلفه تفاصيله، وأبعثر أوراقه رغما عنه، أسحب يد البلايستيشين، وأختار لعبة التحدي- اللعبة التي تتطلب وجود منافس- لكن أنا وحدي! دائما ما كرهت كل الأشياء التي تعزلنا عن البقية، وأشعر بالحنق من هذه الفوضى والمناسبات ومن يشغل بالي.. هو يتنفس عطرا فاخرا، وينام على الأريكة المخملية، وينصت لهمس البلابل، هو- أيضا- يقتني الماركات الباهظة السعر، ويتناول طعامه حسب نظام الحمية، ويستيقظ فجرا.. فنجان قهوة وقطعة حلوى وصحيفة وبياض يوم جديد بانتظاره، ثم يرتدي نظارته بعد أن ينزع العدسات الزرقاء ويقرأ بهدوء.. وتحفه الصباحات! هو يستعين بالكتالوج حال رغب في السفر، يتخير المدينة الأكثر فتنة، يزورها ويقتني أبرز منتجاتها! هو يكتب أحيانا من حروفي، ويترصد لكلماتي ويحفظها! هو يرغب في أن يكون أقرب إلى روحي، ويحرضني على فتح أزرار صدري، ويتجول في عالمي بين أسراري! هو يعود من عمله المريح، ويستقبله الخادم الأنيق، ويعد له قائمة بمقترحات الغداء، يتجاوزه لأنه تذوقني حد التخمة! هو ينام على صوتي، ويحلم وأهذب الأمنيات، ويفزع حين

أبتعد- وإن كنت أقصد أن أقترب من أنفاسه- ويظن أنني قد أرحل! هو يخشى أن أغيب، يتوهم أن بالإمكان التملص من الحياة، ينسى أن الحياة فيه! هو يأتي الآن. . يصرخ ماذا تفعل، أتظاهر بالسكون، وأهمس فقط كنت أتعدى حدودي، أقصد أردت أن ألعب معك: تتحدى؟

هلوسة خافته

مبعثرة هذه الأسئلة بداخلي.. هذه الحروف على هيئة قوالب، تحتاج أن تذوب في كلمة، تحتاج أن تتحرر من جمود الكي بورد بدفء أصابعنا المنهكة. انحناء رغباتنا في ثرثرة نصوص، لصوص تسرق مشاعرنا، وتبدأ رحلة المحاكمة: من يقف خلف هذا الستار ويحرك هذه الدمية؟

من خلق هذا التناقض بين ما نحن وبين ما نريد أن نكون، من صنع هذه الفجوة بين روح وجسد، بين حرف و شعور، بينهم أبحث عني ولا أجدني، انسجام.. سلام داخلي.. توافق.. عافية نفسية.. ولا أجد الحل، انفصام.. تمرد.. هروب.. عبث.. مرض.. ولا أقدر على التشخيص!

(ميم/ جيم؛ مجموع الشخوص أنا)

- سين/ يـا: كل الأسئلة إدانات! والإجابة صفعة تيقظنا وقد تقتلنا.

أنا غاضب مني! لم أتمكن من مصالحتي ولكن بدأت بالكتابة إلي.. أعترف أن بي حاجة إلى منحة من روح إنسان، عاطفة أو حب؛ بل قبلة تجعلني عاجز عن ابتلاع ريقي! صديقي.. إحساسي، أضناه التعب وشتت أفكاره.. لحظة أن تداهمني حاجة في قلبي واضطر أن استجيب وأتوقف عن الكتابة وأفكر في حاجتي، لحظتها أتمنى أن تدب

هذه الحاجة في قلبها وتفكر بيّ.. أفكر فيها رغما عن قسمي بأن أنساها! وتبدو أمامي كجريمة أخافها وأخفيها.. في جوف عقلي أغنية وحرفي يعلم كيف يرسمها؛ وأعود على نفسي اقرأها، ترقص روحي بانسجام، أية ذكاء هذا الذي يجعلني أبدو سيمفونية! قد تسمع شيئا حين تقترب.. كيف وجدتني؟ لا تجب. صدقني لا اهتم! اعتذر من كبريائك، اعترف أنك لن تنصت لي دوما وستعبرني سريعا لذلك دعني لا أحبك كثيرا.. وأحبني جدا، أنا ابتسم من أجلي رغم عتبي علي! لن أضع نقطة بعد نهاية الجملة، وأرغب أن أدع كل الكلمات مترابطة بلا مسافات! أصابتني وخزة حزن الآن! هذا الألم عاق لا يحترمني، يداهمني فجأة.. أحيانا أغلق أمسي عليه وأهرب نحو يومي. تخيل أنني أجده أمامي في غدي! قد انفجر فيه يوما وأمزقه؛ أنا احذره سخطي، لا أعرفني حين أشعر باليأس، افقد إنسانيتي وأغدو أحمقا متهورا.. أسمعكم تتلون الدعوات أن لا يصيبكم غضبي. يا سذج! أما كان أجدر أن تسألوا اللّه أن لا يذيقني يأسا ولا بأسا؟ حتى مشاعري تخشى عليها ولا تهتم مني، أما قلت أن لا أحد يفكر بعيدا عن ذاته، لا يقدر أحد أن يهبك شي طالما أنه لا يعود عليه بالنفع، دون أن نعلم.. نفعل! كلنا يريد مقابل.

تمتد يدي اليمنى نحوه وأفتح كف يساري كجشع متسول.. تنتظر! أصاب بالدهشة حين ارسم لوحة.. لا أعرف كيف أقدر على الاستمرار بذات الطريقة حتى أكتفي، أعتدت أن أدس ورقة الاختبار عن عيني، وأختلس من الأعلى النظر وأجيب. هكذا أحافظ على هدوئي.. الآن أمارس عزفي تبعا للحظة. لا أهتم من أين بدأت، أجهل نقطة التوقف «وبينهما» أغرق. هذه اللحظة- الصغيرة جدا- هي التي تتملكني.. يالبساطتي.. . تأملت على عجل حتى آخر حرف، فتحت جوالي.. رمز القفل تاريخ ميلادي، كأنني أخشى أن أنساني!

نجمه واحد تسعه تسعه نجمه رقمه مربع اتصال، تم إرسال طلبك، بالتأكيد انه نائم، من سيتصل الآن؟ بل من أريد أن يتصل من.. من، وأفكر بعفوية، أكثر سؤال عفوي سمعته في حياتي، هو: من تحب أكثر أبوك أو أمك؟

متى أصلا شعرت أنهم اثنين! أنا ابن ذوبانهم فيهم.. وكفى. ابتسم من أجلهم بصدق وتغمرني سعادة.. . أطالت فرحتي؟ دعوني أغرف دون حساب. الوقت ظالم حين الفرح! لا أثق فيه ولا في عداد سيارة الأجرة ولا.. ولا.. وأحك رأسي.. ولا أثق في ذاكرتي، إنها لم تخبرني بقائمة الخونة وهي تعلمهم وتصنفهم / خائن.. ذاكرتي وصديقي وحظي، قد يخون.. قلبي وعيني وطيبتي، لن يخون.. حرفي و وجعي وغربتي!

بسم اللّه.. صوت أفزعني! ربما شبح.. تذكرت توم جيري، وتذكرت صديقي حين حدثني البارحة بقوله: حين تشعر بالخوف زد خوفك.. وتغلبه؛ سألته: والمرض؟ قال: أنا حددت الخوف كما ذكر أنتوني روبنز. دون تفكير.. سألته: ما هو الإنسان؟ أجاب بسؤال: هل حضرت الأسئلة سلفا! ثم أجاب على نفسه: أنت أسئلة لا تهدأ! ابتسمت بخبث.. من أجل الفتاة التي عبرت من خلفه؛ ولكن رددت بصري حتى لا ينتبه، شدة ملاحظته تضعني في مأزق. سألته: أتود أن أثبت لك أن نيوتن غبي؟ قال أمنحك فرصة أن ابدأ بالشك.. قلت: باكتشافه قانون الجاذبية قيد أحلامنا! فقط أرواحنا هي التي تحلق وتتجاهله، أضاف: لكنها تعود. زدت: تعود لارتباط الأعلى بالأسفل، ارتداد تبادلي.

أتوقف الآن انتهت جلسة التنويم!

تنهيدة

يا اللّه. . ارفع الصوت قليلا، أود أن أرقص مع المطر!

-١-

تتكسر الخطايا مع شعري المقصف، وتأتي في الغد سيدة المنزل حتى تنظف أوساخ غرفتي، وتجمع شعري المتساقط في طرف منديلها البرونزي، وتتهيأ كي تسحرني!

جاء الغد الذي تشاء فيه السيدة أن تكمل الحبكة، وتضع التعويذة في خرزة من ساعة معصمي، فتصير اللحظات كلها خالصة لتلبية أوامرها، ولكن لا تتفضل وتشكرني!

بعد الغد البائس كنت في جادة المدينة أتسكع، الجادة الممتدة حتى الحي الشعبي القذر الفاتن، ما يحيله إلى فاتن هو شدة السوء الذي يضج في أوردته، أضل أتسكع حتى يشطرني عمود ممنوع الوقوف المنتصب في قلب الرصيف، وبعدها أطاردني!

أعتدت أن أزور هذا الحي، وأعرج على كشك تصليح الساعات، ويظل الرجل العجوز يجذبني إليه، ثم يتمتم في أذني ويعيد تدوير عقارب ساعتي، وعند المساء تأخذ السيدة التمتمة من رأسي بينما تعبث بالعقارب، وأستمر في التنقل بينهما ليس لضبط التوقيت ولكن لنقل الرسائل، ثم انشطر إلى نصفين وأضيعيني!

-٢-

أنوي أن أبعث برسالة أمتنان لـ الرجل الذي وبخني ليلة البارحة،

ويخطر ببالي أن أشتري معطفا وغلاية ماء ومعجنات بالزعتر لجارتنا المطلقة، وينتابني وجع كلما تذكرت أن السائق الذي أقسمت أن أكون في المطار لوداعه تجاهلته على الرغم من عدم تأنيب ضميري سابقا حينما قررت فصله، ويثيرني منظر المسامير المائلة في مواقف السيارات ولا أجد إطارات مثقوبة، ويرتفع سخطي بعد كل فشل أصل إليه من محاولاتي لاختلاس سوار الطفلة حين نلتقي في المصعد، ولا أكف عن تبرير ما أفعله انتقاما من البنك الذي تآمر على المائة ريال المخبئة في حسابي وينهشها ببطء حتى وصل رصيدي إلى ثلاثة ريالات!

-٣-

في كل مرة أحمل فيها أكثر من فنجاني قهوة يبدأ مديري في المقهى بترديد جملته الحقيرة: كل فنجان مكسور يقابله خصم يوم! بصوت غاضب- كما كل مرة- أقول: كان فنجانا واحد قبل شهرين. وأمضي حتى الطاولة الرابعة حيث رجل وسيدتان، الرجل يهم بتقبيل الجالسة بجواره، المقابلة تشعر أنها شاهدة على فضيحة وتزدري نفسها، أضع الفناجين وأنا أتأمل الثالثة باستخفاف- يسعدني أن تغضب ويعلو صوتها- يلتفت الآن الجميع لاكتشاف مصدر الصوت، ويسمعون: أخبرتك ألا تقف فوق رأسي وأنت تضع الفجان أمامي، أهبل! أعتذر، وبهدوء أهمس: سأفعل في المرة القادمة حين تأتين لتشهدي على خيانة قادمة!

-٤-

كأني الخطيئة التي يهرب الجميع من الاعتراف بارتكابها، ويلوذ الجميع بالمحراب حتى يصلون للتطهر من لوثتي! أشعر أني كرة قدم بين أقدام تصفعني بقوة في غرفة ضيقة، تتوالى علي الضربات من أقدامهم والجدران، ثم يأتي الرجل البدين ويقسمني إلى نصفين، ويكورني على صدره كنهدين، ويدعو الصبية الصغار أن يرضعوا من

صدره، ثم يصرخ: لن ترتو إلا من جحيمي!

-٥-

يا اللّه.. ارفعني لقمة الجبل؛ كي أضج مع الرعد، وأرمش بانسجام لوميض البرق، وأفتح فكي على اتساعهما لأقضم الغيم قبل أن يتناثر.

يا اللّه.. امنحني نعيم الأمل؛ وأتخيل جسدي يتكور في أحضانها، وارتعد من سكر قبلاتها، وأغفو بين ساعديها، لأحصي فقط كم تنبض -بقدرتك- بحبي، ونسبحك كثيرا.

يا اللّه.. ادفع عني الملل؛ حتى يكون يأسي مستحيلا، ويصير حظي مستقيما، وينبت لحلمي جناحين تأخذني نحو جنائن الياسمين.

-٦-

كالمعتاد في المنازل الريفية القديمة كانت الحجرات مزروعة في ثلاثة أضلاع، وتفتح في باحة صغيرة يتقدمها باب خشبي عتيد، عمي الذي كان يمتلك غرفة صغيرة في منزلنا هو من تسبب في أرقي! دوما ما كانت غرفته مغلقة، وحين يأتي في العطل الموسمية تتحول إلى ملهى ليلي صاخب، ما كان يثيرني هو الضحك المنبثق من بين تصدعات الغرفة والواصل حتى مسمعي، يزداد حنقي وأنا أراقب مصدر الضوء المعلق في السقف بسلك صغير من لونين أسود وأزرق في رأسه لمبة صفراء- كأني أراها الآن، وألعنها- ولا يخفت الضوء ولا الضجيج حتى الفجر، وفي كل ليلة أقرر أن أكبر بسرعة وعند الصباح أكتشف أن أخي لا يزال أطول مني، أوف.. يجب أن أتمدد! يجب أن أشارك في المتعة الحاضرة في غرفة عمي بأية طريقة، فلم يسعني إلا التسلل إليها بعد أن غادر عمي منزلنا لعمله في المدينة، أحضرت أزميلا ومطرقة وثقبت الجدار من الخارج في أسفله، ولمدة شهرين حسب تعداد التعرجات والقيح الذي تشكل في أصابعي، وبعدها خلقت ثقبا يتيح

لجسدي بالعبور، تهيأت قبل أن أدخل بالنوم لنهار يوم حتى المغرب، وأحلم بليلة مميزة، وبعد العشاء حل موعد النوم، الموعد الذي كنت أكرهه أجدني أستعجله، لعلها الليلة الأولى التي أفارق فيها اللمبة الصفراء اللعينة. بعد أن استقرت الأجساد في مضاجعها سحبت جسدي واتجهت للمكان المبارك، واحتفلت على طريقتي.. وضعت الفانوس في طرف الغرفة - تحت السرير-حتى لا يظهر الضوء مع النافذة، ثم بدأ العمل، ورحلة البحث، الكثير من العلب السوداء الكبيرة بحجم دفاتري، وكتب تضج أغلفتها بالصور لا تشبه مناهج الدراسة، وأعواد رائحتها نتنه تقارب شكل أعواد الحلوى ولكنها غير مجوفة، وصندوق صغير يحوي قصاصات وصور عديدة، لم أتمالك نفسي من الفرح وشعرت أن دمعة كبيرة تسقط من البهجة، يومها أحببت عمي جدا ودعوت بأن يغيب طويلا، وقاطعني صوت جدي وهو يبتهل ليؤدي صلاة التهجد كعادته، جمعت نفسي وانتصاري وتسللت حتى غرفتي، غفوت بنصف عين وحلم جميل يحاصرني ويسعدني. في الليلة الثانية تعرفت على الكتب التي ظهر أنها مجلات منوعة، والعلب التي حوت أشرطة فيديو لأفلام أبيض وأسود بالنكهة المصرية، وقصاصات من جرائد لبطولات النادي الأهلي، وأعواد هي سجائر قديمة عفنة، ومرحلة من الحياة لن تتكرر لذة مثلها أبدا، قبل أن يسقط الفانوس ذات ليلة وتحترق الغرفة وأنجو بعفو من اللّه، وأعود لغرفتي اللعينة والضوء الأصفر ويستعمرني الأرق!

- ماذا ستفعل لو علمت أني في الحقيقة لم أكن ريفيا أصلا، وأن أبي ليس لديه أخوة، وأن أول فلم شاهدته كان قبل سنتين؟

-٧-

ورقة منزوعة من يوميات أنثى: استيقظت عند الثامنة صباحا بمزاج نصف داكن- يذكرني هذا المزاج بملامح الغروب في يوم ممطر- أفسر

هذا الارتباط على أنه جميل وبارد. . رفعت اللحاف عن جسدي بتثاقل- هذا البرد يجعلني أحتفي به بأن أحضر العديد من الأغطية كأني سأتجمد- مددت يدي وأنا اشعر أن جسدي ورقة تنتشل من سلة مهملات ويتم إعادة فردها، قرأت الرسائل الواردة على هاتفي النقال، وتجاوزتها بسرعة كي أعود لها حين أكون متفرغة وتافهة- بالمناسبة يحرضني عقلي أحيانا على وصفي بأشياء سيئة ثم يمنحني الفرح- تناولت الفوطة من على الشماعة وأحسست أنني أسترد ديناميكيتي المهيأة للعمل، أخذت حماما ساخنا جدا- البخار المتشكل في الفضاء يجعلني أتخيلني داخل فقاعة- تأوهت بقوة وزفرت وجع كوابيس البارحة، وبأصبع السبابة فجرت البالون المتشكل من البخار وخرجت، أشممني وأكاد أن أخفيني- لست فاتنة جدا ولكن أحبني بغلو غير مبرر -قميصي الصوفي الأزرق يمنحني خصوصية، والبنطلون الرصاصي يجعلني ذات جاذبية- يحيلني هذا الرداء إلى سماوية كما أظن- هذا الاختيار ليس لأن برجي الحوت إنما هو المزاج الداكن الحاضر منذ البداية. حملت حقيبتي بينما تطوف عيني بالغرفة لتفقد أشيائي ويخطر ببالي أنني نسيت شيء ما!

- حتى اللحظة لم تأتي، حتى اللحظة صوت الرسائل يتكرر على هاتفها!

-٨-

لا شيء، وكنت فارغا من الكتابة، تماما. . كيوم قدر اللّه أن يهدر في النوم.

-٩-

أشياء كثيرة، كيوم قدر اللّه أن يستغل في الطاعة، سأتلوها على مهل، حين أستيقظ.

تمتمات لا تسمع

كطفل صغير بالكاد يعرف أن ينطق؛ وبالكاد يفهم ألغاز هذا العالم والمنطق، قرر أن يصرخ.. قرر أن يتمتم بهدوء، قرر أن يفعل ذلك بعد أن أخذته غفوة وتأخر عن موعد! هذا الموعد كنت انتظره منذ بداية الأسبوع، الآن أشعر بالخيبة، وأكره أن أصرح برغباتي، أتعمد بأن أتظاهر أن كل شيء على ما يرام! الشامت المترصد لكل جرح لن يتمكن من العثور على فرصة تشفي، والصديق الذي نتوهم أنه قريب جدا لم يعد كذلك.. يبعث رسائله بين الحين والآخر ويسخط، هكذا هم الأصدقاء يمنحون حتى يستردوا عطاياهم فيما بعد؛ إن كان من سؤال مهم، هو: هل يفهمون ما يفعلون؟

أعلم أنك الآن تفكر ما الذي أريد أن أدونه، لا أعلم صدقني، أولا تصدق! لا يعنيني ما تشعر به! ربما يعنيني قليلا، فقط لأنني هنا وأكتب دون أن أفهم، بارتباك منمق أرتب حروفي، أنا أفعلها الآن، انتظر أن يتحسن هذا الاتصال ويتجاوز ٨.١٦ من السرعة! ولا يتجاوز.. ولا شيء يتغير، منذ أن علمت أيضا أنه من الواجب أن أكذب كثيرا حتى انتمي إلى شلة وأصبح عضوا معترفا بانضمامه لحزب ما، الانضمام جميل ولكن في هذه الظروف هو يشبه حتما أن تحتضن إحداهن فقط لأنك تريد أن تخبر التي تجلس في الزاوية أنك عاشق!

الثالثة قلقا، وبيدي صورة ٤ * ٦ مكشوف الجرح؛ أحضر ملف

رمادي، يحتوي على لحظات ألمك، وصورة من شهادة حسن الحزن والقهر، وتوقيع من شيخ الطريقة الذي علمك البكاء، وثلاث صور طبق الأصل لآخر خيبة، وتحصل على وظيفة: مندوب أموات!

هو انتظر حضوري مرتين؛ هو أيضا بعد الانتظار الثاني شعر بالحزن، هو أيضا تألم من تصرفاتي، هو أيضا فكر ماذا يمكن أن يجعلني أتأخر، هو أيضا حمل وردة حلمه الأبيض، وتهندم على عتبة اللقاء، وأعد فنجاني قهوة بمذاق أنفاسه، وفتح ذراعيه! لكن صافح الرياح وهي تنخر قلقه، ونام.. نام دون أن يعلم أنني قادم! أنا متألم جدا، فقط لأنه الآن يغفو بتوتر، أعرفه حين يفقد حضوري- ينثر العبث أفكاره في محيطه - ولكن حين أفتقده أشعر أن يد أقوى مني تأخذ دفتر المواعيد وتؤجل فرحي! أرجوك قبل أن تطعن قلبي أبحث عنك فيه، ضع نبضة حياة في صدري، وأطبع قبلة على ذراعي، وأنصحني أن ابتسم، بالمناسبة.. أنت تصفح بشكل غريب، وتمنح بطريقة تغمرني جمالا، وتعتذر عن التقصير! أنت أنا.. هكذا أبوح لك، وهكذا أرفعني نحوك، حتى أحسدني على أنك ليّ! وتمر ساعة في انتظار أن تعود! أن تستيقظ، أن تنتبه أن الملاك أو طفلك يقف على رأسك ويسألك: باللّه.. خلني حلمك الليلة!

لخبط ع كيفك

جهازي يعاني من فيروس أحمق وأشعر بالقلق/ قلبي يكاد يتمزق حين أمر بجوارك وينتابني حزن/ أبحث عن مكان أسكب فيه حاجة في صدري وأعجز فأبدو ساذجا/ أتخيل أنني أثرثر عن التفاصيل الصغيرة جدا، حتى تصرخ الثرثرة: أنت مزعج/ لا شيء لدي يستحق التدوين ولكن هو الفراغ/ الصمت يحرض عقلي على التفكير وهذا أمر مرهق/ خسارة فريقي اليوم أيضا كانت زيادة في الألم/ تتقاطع أمام عيني كلمات كثيرة ولا أعلم أيهن يستحق أن أخلده/ لا انتظر، ولا أفكر في فعل أية شيء فقط أهذي/ . . . /مزعج صوت الكي بورد، تمنيته يكون بيانو/ حشرة ضارة تقطع رتابتي/ حين يفتح الباب ويدخل أحدهم أتضايق إنه يزعج وحدتي/ حين يهم بالخروج أتضايق أكثر، كنت قد الفته/ يخطر على بالي أنني الوحيد الذي يشعر بكل هذه التناقضات /نافذة البيت كانت تشي بأنك خلفها، هل كنت المنتظر/ تمنيت أن أفهم كلمات الصمت/ أكره كلمة هدف/ أشعر برغبة في التسكع ولكن لا أعرف هذا الرصيف/ في سماء المكان دخان سجائرهم وبقايا ملل/ من يا ترى أتواجد في حلمه الآن/ ويبدأ وجع جديد/ كأنه يقف فوق رأسي ويتابع ماذا أود أن أقول /يكون بداخلي حكايات لا تنتهي وحين نلتقي تصير أنفاسك حكايتي /لو تحققت الأمنيات لـصارت باهته/ من يبذر في صدورنا الألم لا نقدر على منحه غير ما زرع/ وش تحس فيه إذا قلت

أحبك.. وبكت عيني/ لماذا حين نريد الأصدقاء نفقدهم / لست على استعداد على خوض المزيد من التجارب التي تأخذنا حتى النهاية/ أمقت كل من يتخذ دور الوصاية / لا شيء يستحق.. / نخاف على مشاعرهم كثيرا/ أفرقع أصابعي حتى تكاد تصرخ دعني/ حين نعجز عن تحقيق أحلامنا نبحث عن أحلامهم الصغيرة وحين تتحقق نقاسمهم الفرحة/ الرقمان ثلاثة وسبعة مليئة بالجفاف/ أكره الشموع والنقل الجماعي والورد المجفف والشماغ وصوت الجوال/ أخاف كثيرا من حدوث كارثة/ أتذوق الحنين في كل نبضة / وباقي يا وجع قادر على الغرق فيني / بعض الكتابة هروب/ بعضهم يقدر على أن يكون هو بداخلك فقط في وقت تواجده/ منذ ستة أشهر وهو يتواجد على ذات الطاولة ولم يتكلم ولا مرة، طفشني بقوة/ حين أنتهي مني ربما أكتب عنك/ قد لا أقدر على تكملتي/ لو شعرت بالحزن يوما وكنت أنا السبب لا تسامحني/ لا أحب أن أبدو جميلا، الجمال زيف / النصف هو الورطة / الواجب الأخير لن يكتب / يا عمي طير.. قال ايش قال عادات/ الخيانة طعنة في الصدر/ الغياب طعنة في القلب / رائحة المطهرات تصيبني بالكآبة/ أعشق الغربة/ أمقت الوحدة أحيانا/ بالتأكيد هو يفكر إذا هو على مقربة من الجنون/ النقطة لها معنى/ العين باب يفضح أسرارنا/ الفوضى المرتبه.. فن/ الماسنجر مصدر قلق/ أشفق عليهم ولا أعي منهم / تعال شويتين/ لا تجي خلاص مليت منك/ أنا ما كنت هنا / لن أمنحك طريق الرجعة/ من كم سنة وحنا تايهين / نائم / استيقظ حتى أمسك بحلمي/ أضع يدي على قلبي / وش كنت أبغى أقول / حقيبتي لا تتسع لروحي/ بعد أن أكتب أعجز في المراجعة/ لست نادما/ كنا نسترق لحظات من العمر / أنا رجل لا يلتقط ما يسقط من قلبه/ يا وهم، كيفك؟ / خذلت نفسي كثيرا يا صديقي / انتظر باقي في خاطري كلمتين/ الرحيل/ والرحيل/ على ضفة حرفك كنت أقف/ يا خسارتك/ ممد امد/ عـ الدفتر

سجل حتى آخر الشهر / وعـ الدفتر أيضا دون ملاحظاتك عن خيبة المكان / وعلى شماعة منهكة علق روحك، وأدفن جسدك/ وعن نفسي عن عقلي قلت: جمع أحلامه في صدر أنثى وصار يسقيها/ أشعر بصداع/ عندي كلام كثير بخصوص: تعال ننافق/ شيء يقهر إنك تلاقي نفسك جسر عبور.. فقط /قبل أن يأتي الفجر؛ رتب هذه الفوضى/ الصداع لم يتوقف/ التدوين فكرة رائعة لسرقة أسرارنا / راح وقال دقيقة وراجع، وكانت الدقيقة سنة/ لا ترتب الأحرف، خل الكلام مثل المطر متناثر/ التاسعة ولم تأتين/ الشوكلاته التي تقاسمناها ذات يوم يبقى شيء منها في يدي/ خلاص اللي عطيتك كفاية/ يا ألم السنين/ الوقت بدل الزائف/ يرفع صافرته ولا يتوقف/ يرتب هندامه/ يعيد ترتيب أوراقه/ يستعد للسفر/ يضع روحه على المقعد/ لا يربط حزام الأمان / يفتح فمه، ويصرخ: خمسة اختبارات وبحثين ولم ينجز أية مهمة، خمسة ريالات أيضا تفي بالغرض، بنزين بـ ٤ ريالات وولاعة بـريال واحد.. ونشعل في الماضي حريقه؛ ضحكة أخيرة.

ثرثري.. تتكاثري

-١-

أصابع من ماء تتدلى من سقف الكون كأنها الشهب، تنهمر بقوة وتتابع، تصنع مغارات في سطح الجسد الممتد، وأسقط! وأفكر من جديد.. كل المساحات الممنوحة سلفا للبوح لا تتسع لهذه الثرثرة، وأنتي تجزمين أن الحديث المتأخر يقتات على جنونه! وتشعرين بالبهجة طالما تلمحين لغة الوجع تتضح في نصه، هو وحده يدرك أنه يغرز الحرف في جرحه فيهدأ بعضه، ويكتفي بالأنين، وتشعرين أنه يدعوك إلى مناصفته نبضه.. هو لا يفتعل الكتابة كي يحرضك على اليقظة والمراقبة، لعله يفعل ما يفعل كي يخبرك أنه يجرب كيف يتخلى عن عقله!

-٢-

ترتعدين، وحالما تنكفئين على نفسك يعلو صوت حنينك! فأرتعد.. وأقف على عتبة الفرح حتى تفتحين. حتى يأتي موسم الدفء، وتعود النشوة إلى ملامحنا الشاحبة، وحتى ترتسم الفرحة على شفاهنا الجافة، ويظهر الزهر في تفاصيلنا.. وحتى تنبت الأمنيات في صدورنا، وتشرق الدعوات من أرواحنا.. وحتى تكتمل الصور المبتورة من جراء التشويه الذي فعلته أيد متنازعة، وحتى ذاك الحين.. أحتاج أن أتدثر بالهمهمة! أن أخبرك يا ملاذي أن البرد يتسرب من ثقوب

جسدي، ويبني في أوردتي حواجز! حركة النبض في مساراتي غير منتظمة، وحالة من الإغماء تصيب نصف عقلي، وأفقد التركيز.. أترنح الآن، وذراعي كغصن يتمايل بدقة مع أنفاس الشتاء القادم، أرتب الآن سيمفونية الغناء الطويل على شجن الحاضرين، وأطرب.

-٣-

سيدتي، دعيني أخبرك السر، وأقسم لك باللّه أني لا أكذب الآن على أقل تقدير، دعيني افتح لك أزرار قميصي، وأتيح لك فرصة ملامسة نبضي، ولا تخافي! ولا تهربي، دعي الفراشات تخرج من بين أصابعك، والدفء ينبع من راحتك، بعثري أنفاسك بعشوائية في صومعتي، وأترك بعض شعرك يسقط.. يثبت أن رقصتك كانت في الزاوية، ولا ترحلي حتى أقبلك وأهمس: ثرثري أكثر.. تتكاثري. أحتاج أن أتنفسك من كل الجهات.

-٤-

كل جملة تبدو كأنها البداية المناسبة تخون ذائقتي! أعود للبحث من جديد عن البداية الأنسب، أتجاوز الأفكار التقليدية التي تعتريني، أصل للحافة ما بين فكرة عتيقة وأمنية جديدة، اشحذ حرفي وأجتز من نبضي وابني جسرا، أدع الوقت ونشارة الوخز في جوفي تجتازني، أشيد كوخا خشبيا متواضعا في منتصف المسافة بين الأرض والسماء، أوزع قطع الحلوى المصنعة منذ عامين على أيتام الفرح، وأقسم العطر المحفوظ في خزانة بيت الطين على رفاق التسكع.. تظاهروا - أصدقائي - بالنشوة، الوقت مناسب جدا للإنعتاق!

-٥-

لاشيء يحرضني على الثرثرة الآن إلا صمتك! وأعجز عن تتبع الكلمات المتحشرجة في حنجرتي وهي تغص بفقدك، صوتي المبحوح يخفي شجن غيابك، أحاول أن أبدو متماسكا وأعانق طيفك، أبدو

متناثرا وأحتفي بنبضك، اقتربي مني الآن وقبليني.. أحتاج وجودك يلملمني.

-٦-

هو ليس الوجد الأول الذي تحضرين فيه وكأنك فرض يجب أن نؤديه! هو كذلك منذ غيابك، منذ أن أخذتك المدن البعيدة ورحلتي، وبات من المثير لشفقه أن أبكيك حتى تعودي.. لا ارغب في عودتك حتى لا أشتاق لك بعد غيابك القادم- لن تكفين عن لعبة الحضور المؤقت- تغريك المدن البعيدة وتحتويك، وحدي من كان يظن أنه منحك المواطنة في عالم يسلبنا تذكرة مرورنا لأرضه وأن نكون من ترابه! كلما سمعت اسمي على لسان أحدهم شعرت بالفرق، كان صوتك وحدك يختلف عنهم، وكنت أرغب في تجاهلك كي أحظى بالمزيد من ندائك، ولم أرغب في الاعتراف بأن صوتك جميل كي لا تبالغي في التمنع، كنت وحدك القادرة على منع الأشياء الجميلة من الحياة، دائما ما قلت: الحياة بائسة وسيئة لماذا نبذل جهدا حتى نجعلها أفضل! لا ألومك الآن على وصفك بل أوافقك تماما، وأجد أنه من البؤس أن القدر وهبنا فرصة أن نلتقي في رحلة بين أبها والدمام، ثم قرر القدر أيضا أن يترك لنا عناء محاولة أن نلتقي ثانية، لا يمكن أن يحدث ذلك! لم يخطر ببالي أنه ممكن لذلك من الأفضل لو قلت مستحيل أن نلتقي، وتعلمين لربما كان من الأفضل ألا نلتقي! فعلى كل لست كما عهدتكِ، وأنا تعايشت مع ظروفي ونسيتك، أقصد تجاهلتك! بالمناسبة.. أنا لا أمتهن الكتابة مثلكِ ولكن حرضني نص وجدته لك بعنوان: هذا غلاف الانتظار، وباقي التفاصيل احتراق!

يا صوتي القائم كمئذنة، يا حلمي القادم كمدفئة، يا مسكونا بالأنين، غرد لليل، للحكايات النائمة، للمواعيد القديمة.. غرد بصوت الراعي القديم، وفارس الحقل النبيل.. دثريني، دثريني.

فضاء البوح

(تنويه مهم: لا شيء.. يستحق أن يأخذ من وقتك! هذا الرمز؟ «انفنتي» يعني: مجموعة خالية.)

لن يكون تخصص الرياضيات هو آخر الأشياء التي تختارني ولم أقدر على رفضها! تتزاحم الكلمات في رأسي ولا أعلم من أين أعثر على الكلمة التي قد تروي حاجتي إلى ثرثرة أو بوح أو جنون أو تعويذة! لا زلت هنا أعترف برغبتي في النوم وبعض الألم يعتصرني وأبدو غريبا حتى عن ذاتي واستمر في القسوة على هذا الإنسان الذي بداخلي، فقط بداخلي يبقى في أمان عن خيبات الحياة وتحولات هذا الكون اللامنتهية، وبداخلي أيضا فوضى وصمت تتصارع أيهما يفرض سطوته على الآخر، لم يعد بي حاجة لمحادثة أحد، يا ليتني أقدر على التخلص من هذه المعاملات المتراكمة على مكتبة عقلي وتحتاج إلى حل! ربما أن أفتتح صباحي بالمرور على مكان يغيبها يحيل يومي إلى بؤس، وربما التفكير في القرارات الكثيرة التي لا تستند إلى بصيرة وارتكبها دون وعي يجعلني مرهقا- مرهقا لمن حولي كذلك- لا أهتم بالغفران والصفح منهم، لن أطلب شيئا من أحد، أنا لم أقدر على منح ذاتي السماح، حين أرفع بصري نحو ما كتبت ويخطر ببالي أن أحد الناصحين سيأتي ويقدم تشخيصه أشعر باشمئزاز أريد أن أمارس جنوني فقط!

(أوقات بدنا نحكي بدون ماحدن يسألنا، بالضبط!)

الكتابة الآن هي حاجة أولية؛ أسحب الطبشور من على الطاولة، على مقاعد صف الحياة يتناثر عمري كتلاميذ، أعبرهم سريعا، دون أن يستوقفني أحد تلاميذي، ملامحهم متشابهة وكأنها متكررة، ألتفت نحو السبورة.. واكتب: ريف/ طين/ قرية/ ألم/ حب/ غربة/ عيب/ أفا/ انتبه/ لا/ مستحيل/ يمكن/ يعلوه في روحي عنهو/ بدله الملاحة الجوية/ نخلة/ عمود النور/ تيه/ حماقات/ توقيع.. وأصرخ.

(لا شيء يرتعد خوفا من صوتي: تلاميذي لا ينامون!)

وأبدو معلما يجذبهم متيقنين أن الجنون الذي أمارسه هو الذي يشجعهم على المراقبة- مليئة هي تفاصيلي بالإثارة، أطرق بالطبشور على السبورة، يتصدع هذا السور، ينكشف المحظور فيتمايل دون شعور، يغرف.. يعزف.. يرقص على حشرجات الصدور، وحتى القبور.. يثور يثور.

(أرتعد: أخشى أن يقطع هذا الجنون أحد!)

لا أريد أن أتوقف قبل أن افرغ ما في نفسي، حتى اللحظة يا حرف لم تفي بالوعد، أية عهد ذاك الذي قطعته ونسيته! أية غباء هذا الذي يجعلني أصدق أن الورقة هي المرجع، وأنك بريء مما تفعل؟ وفي حالة واحدة تتهم القلم بأنه متعاون: يا متخاذل! أنا غاضب منك صدقني، ابتعد يا حرفي عني، لم تجلب لي سوى البؤس والحكاية المؤلمة والفقد والحنين، لا تتفحصني بشدة، أنا أعلم أن التعميم تجني ولكن أنا منفعل، وأنا حين أتمرد أصاب بعمى البصيرة، وأقلب كياني رأسا على ماذا، على ايش.. وأحك رأسي، وأتذكر أن الأمام الشافعي يقول: يجوز أن تحك جلدك حتى يبدو العظم، هنا ستبدو الجمجمة، وبداخلها ذاكرتي.. وربما بداخل عقلي بطارية، تشبه لعبة الأطفال، وحين تزعجني أختار OF، الآن أبحث عن الزر المناسب وأنقر عليه وتنام ذاكرتي، وش كنت أبغى أقول!

(بربيكان، شراب شعير! لو أنني سنبلة)

هذا المشروب ليس خياري أيضا، فقط أنا لدي هواية فتح الثلاجة حين أدخل البيت، يبدو هو الشيء الثاني بعد البسملة، وجدت هذا المشروب ولا أعلم من أحضره.. لا يهم، فقد رأيته أكثر من عشرين مره في مكانه، يبدو لأن الجميع هنا بالغين فهم أكثر رزانة، فقط أنا الطفل الذي يبعثر الهدوء، تقول أمي: البيت على حالة حتى أحضر! ولا أقدر على الصمت، أجادل وأعترض، وأقول: أنا لك ولا للذيب، وكالعادة تقول: للذيب، إلا مرة واحدة! حين طرقت باب غرفة التنويم، ورفعت صوتي.. يمه أنا لك ولا..، تحاملت على الألم.. وقالت: لي، تلك اللحظة هي الأكثر عمقا في حياتي، الآن وأنا اكتبها أخجل من الكي بورد، وأضع أناملي ببطء، أخشى أن تستيقظ دمعتي.

(هدوء يشبه سحابة: أقبل النقاش والفهم إلا في نقطة واحدة: السماء أقرب إلى الأرض في الريف!)

وأصر على رأي، تجربتي الضئيلة جدا / العظيمة في ذات الوقت بالنسبة لشخصي تقول ذلك، البارحة كانت تمطر، استيقظت وخرجت بهدوء حتى لا ينتبه أحد، فتحت الباب وكان الهواء عاصفا، شددت وثاق حذائي، وانطلقت نحو الجبل، بدأت أتنفس بسرعة، وأشعر بالدفء وأسرع، حتى وصلت القمة، وقفت انظر إلى قريتي التي تزحف نحو أن تكون مدينة، وجدتها نائمة، صوت المطر وأنفاسي تتداخل، وأنفض رأسي بقوة، وأرتقي على صخرة، وتعبرني الريح، انظر إلى الأسفل بالكاد أرى منزلنا، أرتجف وأخاف أن أتجمد هنا، أسرع في النزول، وأبدو ثقيلا، مبللا بطهر السماء، وألعق أصابعي.. إنه حديث عهد بربي. أصل إلى البيت، أتسلل حتى غرفتي، أخفي ملابسي حتى لا يفتضح أمري، أبحث عن المدفأة، وتحت اللحاف أتكور، وأغفو.

(مسرح؛ وأغض شفايفي!)

نسيت وش أفكر فيه، أصعب شيء هو البحث عن فكرة محرضة على الغرق، الغرق الذي استمتع به، هكذا لحظاتي تكون، وتلاميذي صامتون، ونادلة المقهى المخلقة من ضلع حرفي مسافرة، وذاكرتي هائمة في عالم الذكريات، أتوقف قليلا، كلمة: ذكرى.. لا تعجبني! أجدها جافة وقديمة، مستقبل.. كلمة غامضة- أنا حيادي نحوها- أحب كثيرا اللحظة.

(لورين و آرثر)

تذكرت معرض الكتاب الدولي في الرياض عام ٢٠٠٧م- دائما ما أبذل جهدا على تجاهل الأماكن التي أكرهها، مثل الرياض- ولكن لورين تحرض على التفكير، وتجبرني أن أحلل كيف وجدتها، وأن يكون حجز العودة بعد خمس ساعات من الوصول، وأبدو على عجلة من أمري، و أصل إلى المعرض وفقط أريد أن أحضر كتابا محددا لن أجده إلا في هذا التجمع، وأبحث عن الكتاب المنشود حتى يستوقفني الاسم! بعض الكلمات كالصدمة، لا تملك إلا أن تتصلب من وقعها، توقفت بحثت عن مصدر الصوت، وجدتها خلفي تحمل كتابا، ثم ابتعدت، انتبهت على صوت البائع: تفضل، تداركت نفسي.. ابتسمت بكذب، لمحت الكتاب.. طلبته.. أخذته، في الطائرة بدأت تصفحه، وجدته جميلا جدا! لن أجدها حتى أقول لها شكرا، حين ألتقي بحبيبتي سوف أشكرها أن اختارت لها اسما يجذب السعادة. بالمناسبة كان الكتاب رواية: ماذا لو كانت واقعية. الجزء الأول- وجدتك الجزء الثاني.

(الآن بدي فل ؟)

صلوات.. ترفعها الفراشات

-١-

أنا في حالة سجود، نصف جسدي غائب في الطين، والمطر يطرق ظهري حتى أستيقظ، المطر ذاته كمطرقة تغرزني في الأرض أكثر، الآن لا شيء يدل على أني كنت وحدي مسبقا، تمسح على صدرها مطمئنة بغيابي الذي يكون فيها.

-٢-

بكل سكينة الأرواح المؤمنة بالرب، أتكور عند عتبة رحمتك يا اللّه، والهج بالدعاء الذي لا يفهمه غيرك، وأقسم بك ولك أنني أحتاج عونك يا اللّه، أرجوك كن معي.

-٣-

تطوف في الحقل عصافير الجنة وترقص السنابل، وفي المدينة ملائكة تحاول ترتيب أفراح طفل وطفلته وتعد لهم نقطة اندماج، وفي السماء عين قادرة على رؤية كل ما يحدث بدقة عظيمة.

-٤-

الأصدقاء الذين جفت دعواتهم، وذهبوا إلى شأن أخر لا يخصني، وتركوني في صراع مع قلقي، وحدهم يعلمون أن خذلانهم يدفعني إلى التقدم أكثر، حتى أستقر في محرابها.

-٥-

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والفجر ﴿الفجر/ ١﴾ وليال عشر ﴿الفجر/ ٢﴾

انفصام روح

محمد، أنا رجل ريفي حتى النخاع، أعقد صداقة مع ذاتي منذ قدومك، وأفكر!

مازن، أنا شاب مغرم بالمدينة حد الثمالة، أعشق الرسم وأمارس العزف، وأثرثر.

محمد، أفكر في حبيبتي.. تنام الآن على هدوء نبضاتي، تحلق نحو سحابة، وتمطر.

مازن، أتذكر تفاصيل غياب ملهمتي، وأمسك بالمرسم ولا أتبين لونه الرصاصي، تبقى الورقة البيضاء بريئة، أصرخ بالصمت حتى يتبدد، يتمدد السكون حتى أعماقي، أغفو على حافة البياض، تلتف الورقة حول جسدي، أختنق، وأثور.

محمد، لا أشبه الرجل الذي تتخيله، أنا فقط مغرم بطيف أنثى، وتكبر.

مازن، في مرسمي دخان، لعله بقايا أعقاب السجائر التي أتنفسها في غياب الوطن، أكره أن يحرضني أحدهم على الرسم، يغريني هذا المنفى بالتعبير.

محمد، أنا اثنين.. الذي يتنفس الحرف، يبدو أنك تعرفه أكثر مني، أكثر.

مازن، الذي حتما لا تعرفه، ولا يبوح بخباياه، ويعتبر الكتابة

وشاية، والصداقة تلصص، ويكتفي بالوحدة، وكأنها أنثاه التي تعنيه!

محمد، يكتب؛ يكذب أيضا، يتخيل أحداث ويتفاعل معها ويعيشها، يعشق لحظة أن يشعر .

مازن، البعيد عن هذه المتاهات، يستيقظ مبكرا، ويصافح جدته حتى تهبه دعوة، يتجه نحو عمله في الجامعة، لا يخاف أن يعترف: حارس أمن، وأحترم عملي، يبقى على صمته حتى العاشرة، يعود وكأنه لم يخرج أصلا، ملامحه جامدة، يعرج على مرسمه في غرفة مهلهلة فوق سطح بيت مستأجر، غالبا يغلبه النوم هناك، عفوا دائما ينام هناك.

محمد، أكرهه!

مازن، أعشقه، يرى في نفسه الشخصية الكرتونية في (الكابتن ماجد) يتوهم أنه هو، أعتاد منذ صغره أن يفعل ذات التصرف، يمسك بقلبه ويغلق أنفاسه، حتى يتغير لونه، وفعلا تعلم كيف يموت، ولكنه لم يجرب أن يظهر على الشاشة، حتى ينقل التجربة إلى طفل آخر، فقط يعيش لحظة بسيطة، يعبث بالمرسم على أوراق كثيرة، وتتميز لوحاته بأنها بالرصاص وحده- القلم الرصاصي أقصد- يشبه القلق بداخله حين يعجز عن التوازن ويكتفي بالرمادي.

محمد، يصادق، ينافق، يسافر، يحلم، يبدو حقيقا.

مازن، وحيد، لقنته الحياة دروسا ولم ينجح، فشله مبرر بالنسبة له، يجزم أنه خرج من العش قبل موعده، وتوهم أنه سيطير، ولكن الخيبة التي على هيئة قط لاحقته، حتى زرعت بداخله الخوف، يقول: الخوف آفة. ويبدو خياليا، مفارقة!

محمد، مستيقظ!

مازن، غارق في النوم، المثير أنه لا يحلم، والمميز في حياته عجزه عن التفاعل مع الحياة، يتهم بالبلادة، ولكن بداخله يصر على أنه

فقد القدرة على إرهاف الحواس، يوما تمرد على صمته وكتب على لوحة: إنسان يتحول إلى تمثال! بالمناسبة اللوحة كانت ورقة بيضاء بمساحة نافذة، في الطرف رسم عينين، في المنتصف أنف، في أسفل الورقة وضع قفل.

محمد، يتوقف، حتى بوح آخر!

مازن، يغفو، حتى يقظة لا تأتي.

لا شيء

لن اكتب شيئا يستحق. . لست قادرا على التفكير في نصف الكوب الممتلئ، لا أرى الكوب أصلا! صداع يستعمر رأسي، ينفث جنوده في جسدي و أتألم، حزين جدا. . وربما تائه، ربما أكثر من ذلك. ربما لا شيء-لا شيء هنا كالتحذير الموجود على باكيت السجائر: التدخين سبب رئيسي لأمراض الـ. . - أغلق جوالي حتى لا يفسد لحظة الألم، يجب أن نتجرع اللحظة كاملة حتى نتشبع، مرحلة الشبع مظهر صحي، الارتواء حتى الثمالة من الشعور مهما يكن مؤشر جيد، حين أصل إلى قمة الحالة سيحدث توقف لحظي، سيكون بعده إحساس مختلف، مهما يكن لا يهم، أتعايش معه حتى إشعار آخر! غرفة مظلمة؛ نافذتين مغلقتين، ستارة تحجب ما قد ينفذ، سرير لا يتسع لبعثرتي، حقيبة لم استطع على تغيير مكانها، ساعة، ثلاثة جوالات، موسيقى هادئة، شخير صديقي، قلم جاف، قارورة ماء فارغة. . وأبدو منزعجا! يخذلني كل شيء. . أتوهم أنه يجلس الآن على سريره، ويفتح جهازه الـ HP، ويبحث عن الشبكة حتى يتصل بالانترنت، ويفتح موضوعا جديدا، في مكان قريب جدا لا أعرفه، ، ويكتب: لا شيء! أتوهم أنها تجلس الآن على سريرها. . وتفتح جهازها الـ HP، وتبحث عن الشبكة حتى تتصل بالانترنت، وتفتح موضوعا جديدا، في مكان قريب جدا لا أعرفه، وتكتب: لا شيء!

أتوهم أنها تحدث صديقاتها عني، أنها تسمح لأفكارها أن تأخذها نحوي، أن تثرثر كثيرا بتفاصيلنا، أن تشعر بالفقد وتحن إليّ! أن تحبني جدا وأكرهها، أن أجد إلى نسيانها سبيلا، أن أكف عن الحلم، أن أغلق قلبي، أن أتجاهلك، أن ابدأ من جديد، أن أتمرد، أن أخونك، أن أخذلك، أن أحتقرك، أن أسخط عليك، أن أثور في وجه حضورك، أن يحدث أي شيء.. ولا شيء يحدث! أنا مصاب بداء هو أنت، مقيد بحب خاضع لك، مهووس بجنون نابع منك، محاصر في حدود غيابك! وأتخيل.. تستيقظ الآن، تبدو مبتسمة، كانت تحلم بي، تبحث عن صندوقها الخشبي.. تأخذ قلمي ورسالتي، تحتضن حروفي، وتمسك قلمي بين أناملها برقة، تحلق.. تحلق حتى تبلغ روحي.. وتهمس: واللّه أحبك! دعوني أتخيل.. أنها تيقظ جوالها من سبات طويل، وتضع الرقم السري الذي اتفقنا عليه سابقا- تعتقد أن اليدين التي تتصافح في مقدمة التشغيل تعود لنا- تختار الرسائل، ثم رسالة جديدة، رسالة قصيرة، تضع رقمي الذي تريد أن تأخذه يوما لأنه مميز، و تكتب! تنتقل إلى الرسائل المرسلة.. تطمئن وتبتسم، ولكن لا يصلني شيء! نسيت أن أخبرها: غيرت رقمي! أجتهد في وصف حالتي.. ترتعد أصابعي فوق الحروف، لوحة الكي بورد تشبهني الآن، لم أعد كلمة.. أنا حروف تناثرت! أعض على شفتي، أقضم أظافري، أنتفض في مكاني، ترتجف أحلامي، أكاد أن أبكي، أحاول أن أمسح ما كتبت، أخشى من عبورهم، أخشى نظراتهم، أخشى ظنونهم، أخشى أحكامهم! اللعنة.. لا أخشى شيئا، لن أفعل شيء، فقط أبقى متوترا! لو كنت ترتعدين مثلي الآن.. وتخنقك العبرة، وتدعين كبريائك جانبا وتعودين.. تخيلي أن أحدهم يتلصص علينا، يشفق علينا، أو يتهمنا بالجنون، أو ينعتنا بكل قبح، أو يعتقد أننا تافهين، أو لا شيء، الأهم دعي فوضى الاحتمالات تقاسمك كل توقع.. لا

تغلقي النوافذ، قد يأتي الضوء من النافذة التي لم تخلق له! أرجوكِ أين اختفيت؟ أعرفك جيدا تجيدين دور الغياب، لم تهدأ حالة القلق المرتبطة بغيابك أبدا، لم تغب عن خاطري كلماتك: لا شيء سيتحقق! الآن أعترف أنك محقة.. لا شيء! لا تحاولي أن تفكري كثيرا، أو لا تفكري البتة، لأنك لن تفهمي شيئا! أنا أعترف أن لا شيء يستحق التفكير، لا شيء يستحق القراءة، لا شيء يستحق لحظة تواجد، لا شيء يحرض على الحياة، لا شيء يحرض على البقاء بالقرب من رجل يموت! على فكرة: أمازلت تحتفظين بآخر صورة؟ عندما اعترفت أن الوجع قد أنهكني، وكتبت ورسمت وخلدت الوجع وبعثته لك، حينها كنت حنونة، أشفقتي وشعرتي بالخوف، وتمنيت أن يزيد الوجع حتى يزيد اهتمامك، وزاد الوجع و غبتِ، بربك.. ماذا أفعل الآن؟ أرجوكِ حين تبكي طفلة الحب بجوارك تذكري أنني ما زلت موجودا.. الطفلة التي علمت بتكونها، التي انتظرت معكم وصولها، وشاركت في اختيار اسمها، وقدمت لها هدية، واحتفظت بصورتها، وتمنيت أن أقبلها يوما، تمنيت أن اسمع صوت بكائها، تمنيت أن نلعب معا، تمنيت أن تحرضك على التفكير بي ولا شيء يحدث! لا شيء أفعله فقط أجمع كل مشاعري، وفي حكاية أكتبها ولا شيء سيصل إليك! لاشيء من تلك الرسائل التي في قوارير يحملها البحر ستصل، لا أحد على الشاطئ ينتظر.. لا أحد!

تستيقظ الآن لصلاة الفجر-الآن موعدها- أتوهم أنها ستشعر أنني كتبت لها، أتوهم أنها ستدعو أيضا بالجملة المعتادة: اللّه يعطيك حتى يرضيك، بعد الصلاة تتلو الأذكار، وتبحث عن الدفتر الوردي.. هل مازالت تكتبني فيه؟ أم أنه لا يقدر قلمها على تذكري! أنا أتذكر الطريق الذي تسلكه صباحا.. وأعرف الأزهار والأشجار والأرصفة والعمارات وعمال النظافة وذات السيارات التي تلتقيها، وأعلم أنها سترتدي اللون

الأبيض لأنه مخصص ليوم الاثنين، سيكون مزاجها اليوم متزنا، ستتحدث مع صديقاتها عن أحداث رواية: شرفات بحر الشمال! لن تنتبه أن جوالها على الوضع العام حتى آخر الدوام، لن تستقبل أية اتصال هذا اليوم! لن تفعل ما أريد، لا أحد يفعل ما نريد.. لا أحد يهتم بشيء خارج حدود ذاته، لا أحد يريد أن يفهم، لا أحد يتوقف عن إصدار الأحكام، وأعجز عن كتمان رغبتي، أود أن ألتقيك؛ وأدفن رأسي بين يديك، وأحدثك بكل شيء، أثرثر وأنا مطمئن، أثرثر والقلق لا يعرف طريقا إلي، أهمس بكل ما يجول بخاطري من حياة عجزت عن وصفها- أنت قادرة على الفهم- قادرة وعارفه، وتعلمين الآن أنني أنتظرك، انتظرك وأفكر كثيرا ماذا أقول، أية طريق ستكونين فيه، أية طريق ربما أجدك على حافته، أية شيء يأخذني يبعدني أو يقربني.. أكره السير هكذا على خيط وهمي، يمتد من انتظار إلى انتحار، مؤلم هذا الانشطار، قلب ينبض بك، وعقل يفكر فيك، وأتوه.. أتوه حين أعلم أنني أنا وأنت نحبك! الكلمة الأولى، النبضة الأولى، القبلة الأولى، الحياة الأولى.. التفاصيل الأحداث الحلم الأمنيات المعجزة الوطن الرسالة الهدية الصداقة.. الأولى! وآه من سلطة الشيء الأول!

بسطة أبو ريالين

لكل الأشياء البالية، مساحة تتسع للعرض والبيع والتقبيل!

لا شيء يستحق بالمناسبة! يمكنك أن تعرض روحك للبيع، وتبحث عن عرض يناسب خيباتك، لا تتسرع في القبول بأفضل عرض، انتظر قليلا فعادة الأشياء الرخيصة أن تهمل! لا تهتم، سيأتي من يبحث عنك، أغلب الباحثين عن ملاذ يودون أن يجدوا أرواحا لا تكلفهم أكثر من حزنهم، وهل هناك ما هو أنبل من دموعنا؟ لا تساوم دمية على قبلة، أمسك بتلابيب قميصها وراقصها، وحين تترنح أسقط بالقرب منها، سوف تنتفض وتصحو معك، بعدها لا تسألني أيكم يبدو انه دمية وأيكم هو التحفة! بعد قليل - بعد سنة أو أكثر - بعد مليون عام.. سنلتقي في بسطة السوق الشعبي العتيق، الحياة هي فناء واسع للعبث، دعنا نصرخ دون حذر، أنا لا أخشى أن يستيقظ الأموات، ولا أخاف أن يقتلعني الماضي مع ذكرياته، أنا أريد أن تستفيق أحلامنا على أمالنا!

-٢-

لم تعد تغريني الأشياء الجديدة، بات يثيرني الماضي، أزحف نحو الأمس، وأبحث عن بيت طيني أسكنه، أغلق منافذ التقنية، وألتزم بالأصالة، حتى أعود للزمن الجميل الذي يتحدثون عنه كثيرا، أود أن أرى كيف يدعون اللّه بأن يسقيهم المطر وتتشكل غيمة على الفور

وتمطر، وكيف أنهم يتعايشون مع الأنثى دون أن تقفز حكايات الحب والتحنان في قلوبهم البريئة- على حد قولهم- ولا أعلم هل يمكنني ذلك، أقصد أن أكون مثلهم بالروح النقية التي يتغنون بها، أعترف أنني لن أتمكن! سوف أتعلق بأحدهم، بالمكان على أقل تقدير، ولن أعود للمستقبل- نعم أعود لأنه سيحدث وسأتجه إليه كأنه وصل منذ أمد فائت- وأعزف يومها لحن اللقاء على روح الأشياء الصغيرة، على صوت المخلوقات الغير مرئية بالمجهر أيضا، لعلي أتملك نبضة، وأقلبها في كفي كزئبق وأخبر الجميع أنني أعتني بنبضة قلب إنسان.

-٣-

شيء ما يحدث! طاولة تتسع، تخنق المقاعد التي تختبئ في جيوبها، تتسع لأن أقدامها غاضبة من تقاربها القديم، الطاولة تتمدد حتى تقدر على اللحاق بأقدامها، الأقدام - الأربعة - تختار الزوايا، الطاولة تتسع وتكون كقطعة قماش مربعة الشكل تغطي المكان، تسأل الأقدام وهي تكاد تتمزق: ما المغري في الزوايا؟ القدم الأول: أنا مللت أن أحملك، أبحث عن ركن يحويني! القدم الثاني: أنا أكره الوحدة، رغبت أن أعثر على شريك! القدم الثالث: أنا لا أعلم عن وظيفتي، ولكن وجدتهم يهربون وتبعتهم! القدم الرابع: لم تتحدث كالعادة، فقط انحنت وبدت كعكاز!

-٤-

أنا لم أكن يوما ذاك الرجل الذي يحلم بأن يحصل على ملاذ! أنا أردت دوما أن أكون جزء من طاولة في مقهى رصيف، وأردت في جنون أن أكون فراشة تعشق وهج أنثى بعيدة، وأردت اليوم أن أكون بسيطا، كتلك الأشياء التي لا تثير الانتباه! رغبت في بسطة بالية أعرض عليها روحي، وتجزئني الأيام قطعا صغيرة تساوي ريالين فقط، ريالين

تعني لي كنز ثمين، أتذكر مصروفي واعتزازي به، وأتذكر الجريدة التي حوت اسمي يوما وجلست عند عتبة المتجر الصغير، تكورت وراقبت المارة- أنا أجيد بالمناسبة تفحص الملامح - وحين تأخرت الجريدة بحثت عن مكان بعيد، والريالين في يميني أضمها بقوة وأنظر إليها كل حين أتأكد أنها بحوزتي، وصلت إلى البعيد.. متجر أخر، وأخذت النسخة الأخيرة، وبدأت أبحث، وأدعو يا رب أجدني.. وجدتني يومها وشعرت بغصة! أنا اشتريت فرحتي تلك بريالين.. وأجزم أن أكبر خديعة هي التي تقول: كل شيء سعره فيه. إنها كذبة!

تك تك

-١-

بعد أن يذهب الجميع إلى أحلامهم.. استيقظ وهاجس أن أتعرف على الذي يطرق مساميره في رأسي كل يوم يشغلني، يجعلني أفتح عيني بنصف دهشة والكثير من الخبث، أوهمه أنني قوالب جامدة خلقت لتلبية طقطقته! يتحول إلى طفل صغير للتو يتعلم الأبجدية، فيتحسس الحروف كي يتبين الفرق بينهم، ويضيق بالنتيجة التي تجعله يكتشف أن الشكل يتشابه! أزرار صغيرة سداسية كأنها قطع نرد كثيرة، هي قطع نرد باحتمالات واحدة فقط، وتمنحك الكثير من النتائج، أربعة وثلاثون أيقونة تتدرج في ثلاثة أسطر، تتعرى كي تغويك بأن تجمع الحروف المتقطعة. اصنع كلمة، انسج جملة، أوجد نصا مختلفا يعبر عن فتنتك بالكي بورد الصغير، وبعدها.. أخبرني عن الرجل الذي يأتي في وقت متأخر بعد أن يذهب الجميع إلى أحلامهم، ويطرق مساميره فوق رأسي بانسجام مذهل؟

-٢-

ليس من شأنه أن أرمي شيئا مني إلى أقصى اليسار، هو معني فقط بتأدية واجبه من خلال أدواتي، ما ضره أن حرف الذال في البعيد! هذا النفي تنبيه بأن الذاكرة حاضرة ولو ألقيت على الحافة.. هو متسلط وأناني، يرغب في ترتيبي من جديد حسب مزاجيته، يتخيل أنني قطع

بازل وعليه أن يلملمني حتى أبدو أكثر وسامة! اللعنة.. من قال أن الفتنة حصر على الأشياء الجميلة؟ أنا مثل قطرات المطر المبعثرة، وحبكته تقعر في جبين الأرض.. أخبروه أن يحتويني برفق وإلا طمست ملامحي!

-٣-

رائحة أصابعه تفضح نيته كل ليلة، البارحة مثلا كان يسيل الوجع من بين مفاصله فتغنى بروح جدته، هو كان يبحث عن كائن مغيب يعلق حزنه على أثر رحيله! قبل يومين تلا حاجاته الصغيرة بسكينة طفل يحدث أباه من على عتبة المنزل، ويستعجل في استحضار كل رغباته على هيئة قائمة يتمنى أن تغدو نائمة بعد نشوة تحقيقها.. هو بالمناسبة أغفل رغبته في طمأنينة حضن يحتوي الذعر الذي يعتريه في ليالي الشتاء وتوارى عن ذكره. أتذكر أنه حضر قبل مدة والدم ينسكب في تعرجاتي، يومها نزف من إبهامه ما دفعه أن يتوكأ على قلمه ويدون حياته متناسيا أنه قارب على الجفاف، هو حينها تظاهر أن كل شيء مستتر، ولو صرح لقال أن الضعف عبودية! هو الآن يخفي رائحة عطرها من طرف رعشته، وكأنه ما كان قبل قليل يتحسس مفاتن جسدها عبر صوتها، ويأتي كي يهذي بحكايات الكي بورد المبتذلة! بالمناسبة.. هو سيء جدا وأكرهه كما يفعل الجميع اتجاهه، ولكنه لا يكترث!

-٤-

لحظة أن ينقر فوق رأسي بقوة اعلم أنه منزعج، ويؤلمني أن ينتابه شعور كهذا وأنا غافل عنه، ما يدفعني لليقظة والتنبه لما كتبه- دوما كنت أتلذذ برؤيته رغما عن غموضه- هو يمتلك رؤية جميلة حول كل الأشياء وهذا ما يدفعني للاحتفاء به! أمممم.. عودا على انزعاجه الذي

يحل عليه مؤقتا وأصل إلى أن سببه هو وحدته بين نصوصه- غربته المتربصة بحالته والمتشبثة بأوردته- الضاغطة بقوة على معصمه استنطاقا لتأوهاته، ولكن يضل على كبريائه ورزانة هدوئه ويكتفي بأن يمرر وجعه في لقطات مختلفة في أماكن متفرقة حتى يحين موعد نومه.. ويغادر!

-٥-

آشش.. هو نسي ذاته وفقد وعيه- يمر بهذه اللحظة بعد كل نص، وغالبا بعد كل شهقة- ويستيقظ وأثر بعض حروفي على خده، هه.. طالما تمنيت أن أكون سريره، ولكنه يرغب في صدر بحجم وطن، فأتشكل باسم أنثاه ويتأخر في اليقظة كثيرا، يتأخر لأنه تجاوز الشهقة ووصل حد النشوة ويتنهد! هو نائم الآن، ارتاحوا من ثرثرته ولأنعم بسكينة أجزائي، فقد زرع كل مساميره في رأسي وأنجز عمله.

خطيئة الرحيل

الموعد الأول نسيته.. والآن توصل، عكاز يسند جسدك، عاثر الحظ واضح في جبينك، تفضح أصابع وحدتك بخاتم وسبحة وسجادة صلاة.

ونقول آمين: بعد ما نسمع نشيجك!

- لحظة: ممكن أخونك؟

ممكن أضم كفي على صدري وأقول: يا حظك، ويا غبني!

كُنت أحسدك، كنت أحسب العمر ينحاز في صف الشيوخ، حتى تمنيت أسبقك، نفسي أقلد نظرتك، وأحيان تنتابني رعشة عيونك وانتبه.. إني أنا مثلك بس أعاندك!

ونقول آمين: بعد ما نتلو نشيدك.

- ولأننا نكره حنينك، دائما نلعن غموض الجرح في ونة حديثك!

يعني بجي يمك عشان أخذك من صمت نبضك وأضمك، تعال.. نقول آمين، نقول إن اللي يصيبك ما يصيب اللي تحبه.

ونفترق، أنا أستغفر غيابك.. وأنت تحمل وحدتك!

آهٍ من كل الكلام وأنتِ لست معيّ

(!)

في كل العلامات الصامتة منذ أمد بعيد غصّة، هذا الألف الممتد كخنجر في صدري وهن من ذبول جرحي، فتشكل علامة تعجبّ، ولم تجيء، ولم أتوقف عن الصراخ بندائكِ، أتسمعين صوتي؟

(@hotmail.com)

هذه التتمة أحفظها جيدا، وأجدها تشي بك، وكأنها تخبرني عن المدينة والحي والجادة والمكان الذي تقطنين فيه، ويقطن فيه البقية كذلك، الأهم أية نافذة تخصك، أقصد أية بداية هي التي تصلني بكِ!

(مسافة لِ[وشاية الخونة!] نصٌ رديء سابق. .)

إلى فاتن: الرجل الذي تتصلين به الآن هو يتحدث من خلال هاتفه الآخر مع منى!

تنويه: (أعلم أن فاتن، منى. . هي أسماء مستعارة تستخدم للعمل الميداني، العمل الذي يهتم بما تحت السرّة فقط!)

إلى لتين: الرجل الذي ويختيه قبل قليل لأنه أزعج تجلي حضرتك، هو يجلس بجوار الرجل الذي تتأوهين برفقته، ويدون مرات شبقكِ!

تنويه: (أدرك أن الأصدقاء الثلاثة قد تآمروا على تبادل أرقام صديقاتهم لمعرفة أيهن أسهل اصطياداً، هم ليسوا أصدقاء جِداً، هم مجموعة أنذال ببساطة.)

إلى هيام: أحاول الحصول على طريقة للوصول إليك لأخبارك أن صديقك لا يعلم أنك تخونينه مع صديق صديقتك!

تنويه: (الطفلة التي تنتحب من هلع الوحدة في منزل جدتها، تشعر بطريقة ما أن سبب طلاق والديها يرتكز على وجود طرف دخيل في العلاقة المقدسة سلفاً، ولكن تبكي.. ؟)

إلى الرجال الثلاثة، والصديقات الثلاث: أنا من كتب كل الرسائل التي تدار بينكم!

(*)

كل الذين تفرض عليهم الأقدار أن يكونوا في الأعلى، في الهامش المعلق بتلابيب السماء، في الغيم المرتجف من قسوة البرد والوحدة، في الجنة ينامون هانئين بعد أن اجتازوا ضيق قمة الأقواس.

بعد أن أكتفوا من الوحشة والفقد والضياع، بعد أن انغمسوا في التيه حد الانفجار، بعد كل انشطار يصير الإنسان إلى نصفين.. رجل وأنثى، ويضمهم قوسين على هيئة يدين تطوق بعضهما.

(-)

كل الأشياء تحن إلى وسادة تغفو عليها، فقد أرهقتنا طوابير الانتظار!

($)

صك العملة المفقود من خزانة جدي يلاحقني بلعنة الفقر!

الفقر الذي يظن الجميع أنه في فقد العملات الورقية، ولكنه في الحقيقة هو الفقر المتفاقم في إنسانية الإنسان.

(shift)

بعض المشاعر تنكشف تحتاج الضغط فقط.

(ربمّا)

الكلمة التي أناضل من أجل تكاثرها في كل حقل للتجربة!

س: حدد النقطة التي بدأت منها في رسم دائرة؟

أنا الرجل المُزعج، المزعج بطريقة تشبه أزيز نوافذ منزلنا القديم، القديم العاجز عن نسيان مرات خيبتي، خيبتي التي ظلت تستمد قوتها من تكرار بكائي، بكائي الذي تبدل فيما بعد ليبدو وكأنه ضحكة رجل مخمور، مخمور من كثرة ما يحاول أن يجد وسيلة لتبديد عاصفة المَلّل، المَلُّل الذي يقودني لإعادة ما قلته سلفاً، سلفا حين بدأت بأنا الرجل المُزعج!

تمرين: ١ من ٥

يخبرني أنه لمح الفتيات السيئ السمعة يدحرجن أمامهن نوايا خبيثة!

هو لم يكن يتعمد مراقبتهن، هو وجد أن تفسير ما يدفعهن لفعلتهن يلاءم فراغ انتظاره..

في ليلة قادمة سيخبر الشياطين عن مكر التمتمة، حينها سيكون لديه ثلاثة أصدقاء.

بعدها يهطل الحزن بتروٍ، يتعلق بكل جسد شيء من وجع، تصير المدينة نائحة، وترفع النساء أيديهن ليبدين فتنتهن وهن يجمعن بقايا غوايتهن، لحظتها كانت تلتهب صومعة المدينة بهمهمة فتيات سيئ سمعة كانوا يدحرجن أمامهن مفاتن صدورهن.

تنكر له الأصدقاء الثلاثة، من المخجل التفكير في مبررات خذلانهم في الوقت الحالي، البديهي أن تصرفهم يعد بمثابة إجراء احترازي في حالة كهذه، غداً سيظطر كل من في المدينة للحضور إلى مختبر عينات الـ DNA وسيدان الجميع، فقط الأصدقاء الثلاثة سيتابعون تفاصيل القضية من خلف ستار مدينة بعيدة.

صورته الممزقة في مؤخرة حافلة نقل طلاب مدارس الأحياء الفقيرة لا توحي بأن أحد الأصدقاء الثلاثة هو رجل فقير يجتهد في إثبات وجوده من خلال جريمة، وهذا أيضا لا ينفي أن بين الطلاب من

تراوده نزوته في رؤية الفتيات سيئ السمعة ولو دهس على بقايا الصورة حين هم بالنزول!

مكتب التحقيقات التابع لمنظمة تطوعية صعق الجميع بتعدد الروايات التي ذكرها عن نسب الطفل المجهول، الأمر الذي جعل الشكوك تحوم حول وجود أكثر من أب لعدد من الأطفال ليس من بينهم الطفل الذي يعود إلى قسيس في الحي لأنه ببساطة لم يشترك معه في نطفته إلا عباد مذهبه.

لا يمكن قياس الفوضى التي بثتها هذه الشكوك في أهلية البالغين لممارسة العلاقات الحميميه خارج نطاق الارتباط! مادة السلوك المعدلة

حديثا تتضمن بند حماية نطف الرجال بما يعادل نطفة في كل رحم على امتداد المقاطعة وهذا لا يمكن تجييره إلى حادثة الفتيات سيئ السمعة

بقدر ما يلهم بضرورة سدّ فراغ انتظار رجل غريب بشيء أخر غير مراقبة من تدحرج أمامها وحدتها!

هل يسمعني أحد؟

صوتي ضعيف وصغير، قطط الحي المشردة لا تنتبه لصراخي، أطفال البناية التي أقطنها لا يهرعون من خطواتي، عامل النظافة لا يكترث ببقايا ثرثرتي، أصدقاء التجلي يجزمون أن صوتي لا يصلهم!

يا اللّه.. أعلم أنك تسمعني الآن، أرجوك كُن معي.

إنها حادثة الاختطاف الثانية، لم تكن مدبرة بحنكة وفهم عميق، هي المصادفة التي جعلتنا نلتقي.

الطفلة الأولى كانت تجلس في المقعد المجاور لرجل عجوز غارق في الهذيان، تبادلنا النظرات ورفعت حاجبي لمغازلتها، هي ابتسمت وأنا تشجعت ومددت لساني، هي تحمست ومدت قطعة حلوى، تجاوزت خجلي وسحبت الحلوى وضحكنا، ذهبت حتى تخبر أمها أن أحدهم أستغلها وسلبها شيء من لذتها، الأم الآن تقول لها أن تتجاهل مثل هذه المصادفات فالرجال سيئين في هذه المدينة، هي لا تعير النصائح اهتماما وسنلتقي عند إشارة مرة أخرى وأمنحها قطعتين حلوى لأنها تستحق الامتنان.

الثانية كانت بين أبويها، أجهل كيف جعلتها تقفز حتى النافذة الخلفية وتبتسم من أجلي، هي استمتعت بتقاسيم وجهي التي تحمل الفوضى، وأنا تنفست الفرح من ثنايا طفولتها، ستخبر أمها قبل أن تنام عني، وستقول والدتها أن الرجال في هذه المدينة سيئين جدا، وربمّا

تصدقها في كل العالمين إلا فيّ.. وتعانقني ذات تقاطع أخر في إشارة قادمة، يا اللّه من تكون الطفلة القادمة التي أختطفها من سكونها، وترضخ فيما بعد لتوجيه من نوع: الرجال في هذه المدينة سيئين وفارغين!

أمضي حتى أتذكر الطفل المشغول عن الجميع بلقمة فرح تكسيه قميص جديد، هو يبيع الفصفص على جمهور مباريات كرق القدم ولا يخطر بباله من ينتصر أو يخسر، يعنيه فقط أن يمتد الوقت حتى يكسب المزيد، كنت أودّ أن أزف له بعض المتعة ولكن صديقي الغاضب سحبني بقوة وهو يقول: متى تدرك أن كل هذه الأشياء متسخة وضارة!

أنا أجزم أنها تحمل مذاق مختلف، ولاشيء يساوي البطاطس المقلية المباعة في عربة مهلهلة في رصيف متكسر!

في الصناعية الواقعة جنوب المدينة، حيث يحدث أن تتذمر من كل شيء، تعلن سخطك على الابتزاز الذي يلف المكان ويحيله إلا متاجرة بوجع المنكوبين من حوادث التصادم التي لا تعترف بالهدوء، في المكان ذاته لا تغفل عن ملاحقة الصبية الصغار المستخدمين لإحضار مفاتيح الفك والتركيب، هؤلاء الصبية يجعلونك تغص بحشرجة مكتومة، وحين تبتسم سيتجهمون كثيراً. . سيخطر ببالهم أنك تستخف بهم!

أقسم أنني أحترمهم أكثر من وزير العمل!

المستخدمين لتسول الريالات في أماكن متفرقة. . مغلوب عليهم، هم نتيجة اختيارات الآخرين، ونتيجة جشع الآخرين، ونتيجة طبقية الآخرين، ونتيجة حسد الآخرين!

بالمناسبة الآخرين هُم: أنا وأنت!

مشوش حتى النخاع

الصوت الخارج من حنجرتي يسكب كلمات لا أعنيها، والحرف الذي تورطت في كتابته يشي بتفاصيل لم أنوي الحديث عنها، وكل الصفعات التي قررت أن أتحاشها تصيبني في مؤخرة رأسي، وحين أردت أن أصف علّتي وجدتني أصور كيف كانت وحدتي!

يا رب: كيف أهتدي إلى الصواب وأنا أعجز في ترجمة ما أريد بالطريقة الصحيحة؟

تصفيق بلا كفوف

أغمض عينيك، وحاول أن تلتقط فكرة من رأسك، لحظة أن تصطادها. . أفركها في راحة يدك، أجمع أنفاسك الآن وهففف بهدوء حتى تبعثر الفكرة!

الآن افتح عينك اليمنى وراقب أصابع قدميك وهي ترتعد، تخيّل أنها تزحف على الجدران كالدود، تأملها وهي تغيب في تصدعات الجدار، وسينبت لوحات سريالية تحوي داخل إطارها خيوط دانتيل صغيرة تحمل توقيع: الإنسان معطف شتاء!

أفتح صدرك من المنتصف-راقبني وأنا أغرز أظافري في قفصي وأتمدد- خذ من وريدك خيط يكفي لتعليق أوجاعك في السقف، ولاحظ الدم وهو يتقاطر من حزنك، وتوهم أن الشمع ينبت في عليّة دارك، وأشتعل!

تابع حركة أصابع يديك على المنضدة، توقف عن الصراخ وأرفع ساعديك، سترى أجزائك ترقص منعزلة عن سيطرتك، ركز في العناق الذي يحدث بين الأصابع، أمضي برفقتهم حتى يسقطون من حواف الطاولة

- أوووف إنهم يتهشمون-

لا تكترث يا سيدي، غدا تستيقظ وفي يدك أصابع جديدة ألعقها حتى ترتوي وتكبر!

بعد المقطع الأول، أخبرني مالذي شعرت به؟

- أشفقت عليك!

يمكن إعادة صياغة الدهشة، أخبرني كيف كانت حركة النبضات في صدرك وأنت تقرأني؟

- كدت أن أختنق!

لعلك تحاول أن تثبت انك تفاعلت بشكل مذهل مع كلمات تغص بالضجيج، وترغب في تحريضي على قول المزيد وإغضابك؟

- لا تظن أن الكلام الذي لا يرعبنا.. يهدهدنا، أحيانا لا نكترث!

ولأنيّ لا أكترث الآن دعني أخبرك أن الكتابة هي تنفس بطرق مختلفة، أن تختنق ويختنق من يتابعك فأنت تخلط عناصر حزنك مع فرحك مع قلقك وتزعج الجميع، وأحيانا تعيد تدوير حكايتك فيلمح من يقاسمك الفضاء أنك تكرر هوائك، وتبعث على المَلّل، وأخيراً ربمّا يجدر بك أن تهتم برئتيك وتنتقي ذرات تنفسك بعناية من اجل صحتك، اقصد نصّك!

سأجرب أن أكتب نص..

- ياالسخافتكَ، تعتقد أن كل شيء مطروح لتجربة!

سأرتكب حماقة وأكتب نص، هكذا أفضل؟

- الحماقة جزء من إنسانيتنا، لا تحشرها في قراراتك كي تبرر تصرفاتك!

سأفتعل حادثة وأحشوها في نص، ممكن؟

- الحادثة تصير دون استئذان، وحين ترغب في تدوينها هي لا تكون اختيارك بل تستخدمك الحياة لتوثيق المشهد رغمًا عنّك!

لن افعل شيء، وأتخلص من تلصصك

- الآن تمنحني فرصة السخرية من أفكارك الخائفة، وملاحظة همهمة حروفك في جوفك، وتكسرها داخلك

عليك اللعنة. . المجتمع سخيف، والأصدقاء خونة، والوطن خدعة كبيرة لسجن الحرية، والسلطة سطوة، والخطئيه نزوة، والحياة لحظة!

- هـه، هل تودّ أن تقنعني أن الأمور تافهة لديك حتى تختزل التعريف في كلمة؟

هل تود أن تقمعني فتجعلني أطوف في دائرة افتراضاتك؟

- يبدو انك تخاف أن تمنح غيرك فرصة أن يسدد اللكمة الأولى؟

يتوجب عليك أن تفهم أن الشراسة ليست قوة، وأن استنزاف الطاقة في منازلة مثلك هدر لسكون سريرتي.

- إما أن تكون جبان يدعي السلام ليخفي ضعفه، أو معبأ عقلك بمرات استسلامك في سابق عهدك!

ليتك كُنت معي، أضحكتني بسخاء. . يالك من أحمق يدور بخلده أن استثارتي بطرف أصبعه.

- لو أن لي إصبع لم تبتر في بداية سردك لفقأت عينيك. .

هـه، أبقيت على لسانك، حتى أخبرك أن الصوت لا يكفي لتحريك السواكن!

- لو أنك أكثر من مجرد قلم لحسدتك، ولكنك حبر يدنس الفراغ بصراخه!

فراغ لا يحوي إلا الكلمات هو مصنع لثرثرة تهم الأطفال وعجائز الحي ومباحث الدولة!

- آصصص، إلا الدولة. .

[يمكنكم الآن استخدام ما لديكم لِـ التصفيق من أجل العرض، انتهى الوقت، أقصفوا الأرض!]

تمت الدبلجه والمونتاج في استوديو المواطن البسيط، الخارج عن دائرة التأثير!

فُصوص

بعد أن ترشف فنجان قهوتك، تذكر أن الوقت أخذ شيئا منك، وقدم لك حكاية؛ وأن ما يحدث - وإن كان مكررا - ربما يبدو حين تكتبه مختلفا، جرب أن تكتب نصك القصير، في مساحة تتسع لكل حرف.

(رشفة)

انتبهت أن لكل كلمة لون! خذلونا حين علمونا أن الكلمات مجردة، وأن كل حرف هو رمز فقط؛ هذه خديعة متوارثة، الأبجدية هي غيمة تحتضن ٢٨ قطرة، وحين تسقط تلتقي، وتبدو لدينا كلمات/ مركبات، بعض الأحرف تحمل معها رائحة العطر كحرف السين، حرف الميم يوحي بالقوة، حرف الكاف يشبه الإحساس الذي يطوقنا في حضور الضيف، الهاء متاهة ثعبان، التاء حالة من التمرد، النون بئر قد ترويك وقد تغتالك، الحاء هي الحاجة للحياة، الشين لون رمادي، الواو اضطراب فاخر. . الآن أفكر فقط في كلمة[حزن] لونها أسود قاتم، رائحتها كالطين المبلل بماء فاتر، أشعر أنها مشوهة، للحد الذي يجعلني أجزم أن التقاء بعض الحروف المتنافرة ينجب لنا كلمات شاذة!

(رشفة)

يجلس في الزاوية، يفتح الصحيفة من المنتصف، ثم يتمتم باللعنات!

كل يوم يفعل الشيء ذاته.. يجلس في الزاوية، يفتح الصحيفة من المنتصف، ثم يتمتم باللعنات! هذا الإنسان يجعلني أجزم أن لا شيء يتغير، وأن اليوم هو الأمس، هو غدا، وأن كل المواقيت لعبة: شمس قمر، ليل نهار، لحظة سنة.. حتى أصل إلى لعبتي القديمة: نخلة نملة!

(رشفة)

تسحب جزء من الستارة، وتنظر إلى الشارع بوجل، حتى اللحظة لم يعد طفلها المراهق! تعود إلى سريرها، الساعة تزحف نحو التاسعة ولم يأت منذ البارحة! لم يحدث أن قضى ليلته خارج المنزل، يبدو أنه سيمتهن عادات جديدة، ومن المؤكد أنها ستتعب أكثر.. تبتهل إلى اللّه أن يحفظ روحها.

في مكان آخر من المدينة، شاب مراهق يعبر نحو موظف الجوازات، ويغادر!

(رشفة)

يسحبني دون أن تتوقف سيارته، يضعني في أذنه، ثم ينقلني إلى فم المقود، ويحشرني بقوة أيضا، تعترض طريقه سيارة، يثور ويسحبني من جديد.. أتعجب!

- أنا أقوم بدوري في تشغيل السيارة وتنظيف أذنه!

يخرج رأسه من النافذة، ويصرخ:

- وقف يا معفن، واللّه أحط هالمفتاح في عينك!

- أها.. أصبحت لدي وظيفة ثالثة.

(رشفة)

كانوا خمسة!

الرجل الأب، دائم العصبية. الأنثى الأم، حنونة أحيانا. البنت العروس، معزولة في عالمها. البنت الشيطانه، تلف تلف البيت كل

دقيقة. البنت الصغيرة، وديعة كأنها لقيطة.

ثم تضيف المربية: الآن هم أربعة، بعد أن اختفت البنت الشيطانه؟

(رشفة)

تتوهم الجدة أن جميع- أفراد العائلة- يتلهف على سماع قصصها، يومها كان هذا الوهم جميلا، وكانت بصحة أفضل! اليوم تستيقظ كل صباح، والجميع في سبات عميق، تقضي الوقت في الذكريات، وتشعر بالوجع، وأنها شيء بالي! تلتقي مع- أفراد العائلة- بعد صلاة العصر، وتجلس بخشوع، تعلم الآن أن الجميع يشكرها على صمتها!

(رشفة)

لو أجلس عند البحر، وألمح طفلا يغرق، وأنقذه ويشكرني والده - المليونير بالتأكيد - ويهبني مليون ريالا! لو أساعد عائلة تعطلت بهم سيارتهم في طريق موحش - وتكون لديهم فتاة جميلة- ويقدمها والدها.. لي كزوجة! لو أسحب ورقة من اليانصيب، وأحصل على إقامة في سدني لمدة ستة أشهر بشرط أن يكون معي المليون، والفتاة الجميلة!

(رشفة)

لا أطيق أن أسمع صوتك الآن، وأكره كل شيء فيك، وتصرخ: خذوا عقلك!

- يبتسم الأحمق. تغلق الخط، وتبعث برسالة: يجب أن تموت قبل أن يأتي المساء؛ أو سأقتلك.. نفروبك!

- يبتسم أكثر، لأنه لا يفهم! تحدث أختها الصغيرة عبر سماعة المنزل الداخلية: من يومين ما أكلت، تراني أختكم، جيبوا أي زفت، اللّه يأخذكم كلكم!

(رشفة)

أنا الطريق الذي شاء له القدر أن ينخره عمال الصيانة، ولا تكف الخيبات أن تحل بوجهي، ولا يمل العمال من وضع اللوحة اللعينة: هنا أعمال صيانة، نعمل من أجلكم! لا أحد يفعل شيء من أجلنا بالمناسبة، إنهم يتلذذون فقط ببث الضجيج في أوردتنا كل حين، وهذا العالم المتقدم يعجز عن اختراع دواء مناسب لحالة الخيبة التي خلفت ورائها ثقوب في ملامحنا، ألم أخبرك أن وجهي هو ذاكرة تصفعني كلما نظرت في مرآتي. أغرب عن وجهي، ولا تتحسس أوجاعي بأصابعك قد أبتلعك!

(رشفة)

يعتقد دائما أن التسوق متعة وترقيم، ويتعجب أنه دائما لا يحظى بأنثى، على الرغم أن الحلاق يخبره أنه وسيم جدا، وأمه دائما تتلو عليه المعوذات وتزيد أحيانا بعض الشعوذة، هو الأكثر أناقة في الحي حسب استفتاء أخته المغرورة، يحظى بشعبية بين أصدقائه - المرتزقة- لأنه على رأيهم: ما يعرف التطفيرة! المثير أنه حتى اللحظة يجزم أن الأنثى فارغة، ولا باللّه هذا الجمال يتفوت!

(رشفة)

في السجود، تسقط شعرة بيضاء من رأسه، تشي بأنه رجل عجوز! يرتعد، ويرفع شعرته إلى جيبه، يحتفظ بكل أشيائه الساقطة من ذاكرته، ثم يلتفت إلى الطفل الذي بجواره، ويقول:

- أكبر حماقة أن تراقب أوراق شجرة تسقط في فصل الخريف، وتحاول أن تعيد تركيبها!

(رشفة)

بابا؛ ليه أنا أكبر ودميتي باقي نونو! يعجز الأب عن الإجابة، يقف مذهولا أمام هذه الأسئلة الغريبة.

- بابا، أنا ما أحب الصغار!

تعتريه موجة من حزن، يكاد أن يختنق لمجرد أن طفلته تشعر بالوحدة.

- بابا، لا تشرب الحليب، وتصير صغير قدي!

تسقط من عينيه دمعة، ويطوق طفلته وينتحب.

- بابا، أحبك حينما تبكي، الآن تبدو طفلا مثلي!

(رشفة)

ثوبه طويل جدا ومتسخ! شاربه كث، أظافره قذرة، يذرع الحي دون أن يتقاطع بالعابرين!

- الجميع يسميه اللغز.

مرة يمسك بآلة حاسبة، ويدون النتائج كما يبدو على الرمل! مرة يحتضن كي بورد - نصف أزراره ضائعة- ينقر بقوة ثم يهمس: enterيخرج من جيبه قطعة خشبية، يضعها على خده الأيسر، ويصرخ: آلو!

- آلو، أسمعك.. قلتها وأنا أعبر بجواره.

علت سحنته غضب، وكأنني أفسدت عليه متعته، يمضي ويتركني في حيرة من أمري!

- أنا أصفه بالحل، إنه يعي لعبة الحياة.

(رشفة)

- الطلب المعتاد!

ويمضي نحو(مركازه)، يجلس في مكانه المعتاد أيضا، داخل غرفة خاصة كما تقول اللافتة، وبعد ساعتين - بالضبط - يخرج من صومعته وهو أكثر نشوة.

- سجل على الحساب.

يعتقد عامل القهوة أنه سجين سابق، ويفسر حالته بأنه أعتاد على

الصمت وصداقة الجمادات، في مرة أضاف: سجن.. في قضية سياسية بالتأكيد.

(رشفة)

تضع فيه احتمالات الورقة الرابحة! هو يصنف كل علاقاته على أساس: تجربة!

- لو أنه ينظر إلى الأمور بطريقتي، وتضغط على حافة شفتيها بحنق.

- لو أنها جربت الحياة بعيدا عن فكرة: ربح وخسارة! ويبحث عن أنثى جديدة.

(رشفة)

اعتقدت أن أحدهم يلعب البلياردو! كانوا يسيرون بطريقة فاتنة، أقسم أنني أتخيل أن كرات البلياردو ترتطم بالحافة، إحداهن تتنفس الموسيقى، لذلك تجدها تمارس الرقص دون أن تدرك!

- قلبي يتحول إلى حفرة صغيرة، أدعها تسقط داخلي، وتفوز بي!

(رشفة)

صديقي: رأيتك في المنام.

- لا أريد أن أسمع!

رغما عنك، لا تعتقد أني أخذك إلى أحلامي كل يوم.

- مليت منك في الصحو..

دعني أخبرك؛ كنا في مباراة كرة قدم، أحتسب الحكم ضربة جزاء صحيحة، تقدمت أنت، كان المرمى محطة بنزين، والحارس يقف مكان الماكينة، سددت أنت بقوة، ارتطمت بالسقف، بالأرض، في المرمى، GOOOL

- وبعدين؟

استيقظت، واتصلت فيك.

- الحمد للّه على نعمة العقل، أرجع نام ولا تنسى تحلم بالبرازيل وايطاليا في كرة الطائرة، وتنبسط!

(رشفة)

يهرب إلى دورة المياه، ويشعل سيجارته الأولى!

الآن يدمن السيجارة في دورة المياه، ويتخيل أنثى رخيصة.. مغرية عند اللقاء الأول، حارقة عند أول قبلة، فاتنة عند الخصر، مليئة بالنشوة آخر لحظة!

ثم تبدو مملة جدا، يدع سيجارته تسقط، تششش انطفاء

انتهت النزوة!

(رشفة)

يعود من المنفى، لا يتسع جسده لجرح آخر. يجد كل الأشياء تغيرت، جاذبية الوطن - القديمة - لا تقدر على تحريضه على البقاء. يعيد صياغة مذكراته: العودة هي نحو المنفى! يمزق ورقة صغيرة تشي بأنه ينتمي إلى أرض ما، ويرحل إلى وطنه/ منفاه، بجسد فارغ من روحه.

(رشفة)

كنت أنام في العتمة! من جاء بالسراج؟ من سلبني وقاري، وقام بتعريتي.. من زرع الدفء في أوصالي، من فضح تجاعيد وجهي، من جعل الفراشات تعتمر ثقوبي، من حرض أهل الحي على كشف عورات طرقاتهم؟ ياه كم من الوجع أصابنا منذ ميلاد الأرق.

صوت: جدار.

(رشفة)

- باردة هذه اللحظات! قالتها وهي ترسم خطوط متعرجة على سطح الطاولة. يتخلص من صمته، و يتحسس كفها.

- قشعريرة كأن تيار كهربائي شديد القوة مس جسدها فجأة! انتفاضتها قالت ذلك.

- دافئة أرواحنا!

همت بوضع معطفها على المقعد المجاور، وتبعثرت خصلات شعرها، فهبت العاصفة.

- لو أننا نكمل ثرثرتنا!

وارتسمت بعض الخيبة على ملامحها، ودبت في روحها رجفة برد.

- دثرني يا طيف حبيبي.. ونامت

(رشفة)

أكرهك!

تتعمد هذه الكلمات المبطنة، أتظن أنني أقبل هذه الخيارات الملغومة، ولا زلت تردد: كما تريدين، على كيفك، هو قرارك، اللي يريحك، ممكن، أعتقد ولست متأكد!

أعتذر؛ لا أتذكر كل كلماتك الآن، أكاد أنفجر من السخط، أي رجل أنت! ستأتي في الغد وتقول: سخطك حالة نابعة عن عدم اتزانك في التعامل مع إحساسك المتأرجح!

أخبرني كيف تفسر الأمور بهدوء، وتجعل كل الأشياء تتسم بهذه البلادة، أنت مجنون، وأنا حمقاء! الآن أكرهك أكثر.. [لا تنسى تحلل هذي كمان، قال عقلاني الأخ]

(رشفة)

أكره الأماكن المغلقة! الجدار الذي يحاصرني يضايقني، وأطالع حقل القمح من بعيد: إنه مساحة الطين.. التي نخط عليها عبث خطواتنا.

تقفز إلى رأسي الكلمة الأولى.. كقطرة السيل الأولى؛ هي التي

تختار الطريق، والبقية تتبع، وأكره السير وأنا في المقدمة، أكره السير وأكون في المنتصف، أكره السير ومن ورائي فراغ، أتناثر إذن.

أبذرني كحبات قمح على اتساع الحقل، وتبدو حروفي سنابل، تجتمع كلماتي في منخل واسع، تلملمني الأنثى الصغيرة وتصنع مني رغيفا ساخنا، تلتهمني الآن بلذة.

كذبة أولى: تخرج الآن من عالمي وشيء مني يرافقك، سكن أعماقك كأنه خبر سيء لا يمكن أن يتلاشى.
نقطتين متعامدتين، وقوس مفتوح للخارج .

: (

الجمعة: ٦-١١-٢٠٠٩م

moh.03@hotmail.com